العظيم آبادي وآراؤه العقدية في الرد على الفرق الكلامية في كتابه (عون المعبود شرح سنن ابي داود)

الدكتور
زياد رشيد حمدي العبيدي
جامعة الانبار - كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القران

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فان الله تبارك وتعالى أنزل القرآن كتاب هداية ورحمة للعالمين . وكان منهج القرآن يرسخ العقيدة في النفوس، ويعرضها باسلوب يقنع العقل ويمتع العاطفة، وقد كانت عقيدة القرآن صافية ليس فيها تعقيدات فلسفية، ولا جدالات نظرية لا تخدم واقع الامة في معاشها ومعادها، ولكن بعد ذهاب عصر الصفاء النبوي وانقضاء عصر الصحابة الكرام ونتيجة لاتساع رقعة الاسلام ودخول الامم والملل الى الدين الجديد، وتبع هذا كثرة التساؤلات حول العقيدة واثارة الشبهات حول الاسلام، بدأت تيارات جديدة متشككة منحرفة بالظهور محاولة ضرب عقيدة القرآن والسنة، فقيض الله تبارك وتعالى علماءاً افذاذاً ضحوا بحياتهم وجعلوا عقولهم وعلمهم في خدمة العقيدة وحراستها وتنقيحها من اية شبهة قد تعلق بها وتشوش على عقيدة الامة الاسلامية .

ومن هؤلاء الافذاذ الامام شمس الحق العظيم آبادي الذي تربى على يد كبار علماء العقيدة والحديث والفقه والتفسير واللغة وغيرهم، فكان هذا الامام جبلاً شامخاً ووتداً راسخاً في الدفاع عن الدين ولا سيما باب العقائد وتثبيتها في النفوس .

وقد تنوعت اساليب العلماء في الرد على الطاعنين على العقيدة الاسلامية فمنهم من رد باسلوب عقلي بحت فكانت له سجالات فكرية، ومنهم من رد باسلوب اهل الاثر بإيراد النصوص النقلية وحشو الادلة الحديثية من دون استنباط الادلة العقلية منها .

ولكن الامام شمس الحق متميزً في هذا المجال فانه لا يتكلم بمسئلة ولا يعطي رأياً بأمر الا بعد إيراد النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الصالحة للاحتجاج يسوقها

بأسانيدها، ثم يتبع ذلك بالاحتجاج بالنظر، فقد كان رحمه الله من اصحاب النظر ومن الذين كانت لهم بصمة واضحة وآراء غزيرة في شرح العقيدة الاسلامية ودفع الشبه عنها فقد مزج بين الادلة العقلية والنقلية في كل احتجاج، فلم يأت بمسئلة في العقيدة الا وحشد لها الكثير من الآيات والاحاديث وكان يستخرج الادلة العقلية من معين الادلة النقلية.

واود ان اشير هنا الى ان هذا البحث كان من المفترض ان يكون من ضمن اطروحتي للدكتوراه الموسومة (المباحث العقدية الواردة في عون المعبود شرح سنن ابي داود)، الا ان اتساع الموضوع من جهة واشارة المشرف واعضاء لجنة المناقشة الذين ارتأوا ان يكون هذا الموضوع خاص بالفرق الكلامية من جهة اخرى، حال دون تضمينه من ضمن الاطروحة لذا شرعت في كتابته في بحث منفرد ومن الله التوفيق .

وقد قسمت بحثي الى مبحثين ومقدمة وخاتمة فجاء المبحث الاول يتحدث عن حياة العظيم آبادي وجاء المبحث الثاني يتحدث عن آرائه العقدية في الرد على الفرق الكلامية واحتوى على ستة مطالب .

ومن باب الشكر احب ان اشكر كل من ساعدني في اخراج هذا البحث او مد يد العون لي فجزاهم الله عني خير الجزاء .

واخيراً فأني خضت في هذا البحر المتلاطم الامواج فأن وفقت فبفضل الله وان كانت الاخرى فمن نفسي والشيطان

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

المبحث الأول
حياة الامام شمس الحق ونشأته

أولاً: اسمه ونسبه:

هو الشيخ العالم الكبير المحدث شمس الحق بن أمير علي بن مقصود علي بن غلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد بن علاء الدين البكري الديانوي الصديقي العظيم آبادي .

أحد العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، ولد ببلدة (عظيم آباد) وإليها ينسب[1].

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٣- ١٣٢٩ هـ) من كبار محدثي الهند الذين قادوا حركة السنّة وتجديد السلفية، وأحد نوابغ العصر ممن يشار إليه بالبنان، وعكف على الدرس والإفادة والتأليف، وقد وهبه الله ملكة راسخة في علوم الكتاب والسنة، وكان شغوفاً بجمع الكتب النادرة القيمة في علوم السنة ونحوها بعد التعليق عليها . وأنفق فيها مالاً كثيراً، وله منة عظيمة على أهل العلم ولاسيما على طلبة الحديث .

وقد سافر إلى الحجاز سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف فحج، وزار وأدرك المشايخ فاستفاد منهم وأفاد [2] .

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: (٨ / ١٢٤٣) المؤرخ الهندي العلامة عبد الحق بن فخر الدين الحسني (ت ١٣٤١ هـ)، طبعة دار ابن حزم، بيروت بلبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م، معجم المؤلفين: (٣/ ١٣٩)، عمر رضا كحالة، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م، الأعلام: (٦ / ٣٩)، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.

(٢) ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: (٨ / ١٢٤٣) .

ثالثاً : أبرز شيوخه : وتلاميذه :

أ _ شيوخه: لقد أستفاد محمد شمس الحق العظيم آبادي من علماء كثير وأبرزهم :

بشير الدين العثماني القنوجي، وحسين بن محسن السبعي الأنصاري، وفضل الله بن نعمة الله الكهنوي، ولطفي العلي البهاري، المولوي عبد الحكيم الشيخبوري، نذير حسين الدهلوي[1].

ب _ أما أبرز تلاميذه :

فقد كان له عدد من التلاميذ المنتشرين في القارة الهندية، من أبرزهم الشيخ عبد الرحمن المبار كفوري صاحب تحفة الأحوذي[2].

رابعاً : آثاره :

كانت جهود الإمام العظيم آبادي متركزة في خدمة السنة النبوية فمعظم مؤلفاته في السنة، وكان الإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي يتقن أكثر من لغة، ويجيدها حتى استطاع أن يؤلف مؤلفاته ويصنفها على اللغات المختلفة التي كان يجيدها ويتقنها.

ومن ابرز مؤلفاته :

(غاية المقصود في حل سنن أبي داود)، (وعون المعبود على سنن أبي داود ويعد هذا المؤلف أشهر مؤلفاته)، (والتعليق المغني على سنن الدار قطني)، (وإعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر)، (وغنية الألمعي: بحث عن عدة مسائل في الحديث)، (والنجم الوهاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج)[3] .

---

(١) الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٨ / ١٢٤٤)، وينظر: المقال في مجلة الجامعة الإسلامية بعنوان(الحركة السلفية ودورها في إحياء السنة)، بقلم الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) ينظر : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : (٨ / ١٢٤٣)، ومعجم المؤلفين: (٣ / ١٣٩)،

خامسا : وفاته :

ابتلي – رحمه الله – في آخر حياته بالطاعون، وتوفي في التاسع عشر من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٩هـ)، فرحمه الله تعالى وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء [١].

منهج الشيخ آبادي في كتابه: عون المعبود شرح سنن أبي داود:

لا شك أن كتاب سنن أبي داود لقى اهتماماً بالغاً من علماء الأمة، فقد اعتنوا بمروياته وشيوخه وتهذيبه ونقد رجاله إلى غير ذلك من الخدمات المتنوعة، وقد كثر اعتناء المتأخرين بشرح الكتاب والتعليق عليه . ولاسيما علماء الهند فلقد كانت لهم جهود عظيمة في الاهتمام بهذا الكتاب .

وأشهر هذه الشروح كتابنا (عون المعبود) الذي اختصره المؤلف من شرحه الكبير (غاية المقصود في شرح سنن أبي داود)، وقد لقي هذا الشرح رواجاً كبيراً بين أهل العلم لما تميز به من حسن التأليف وجودته، فقلما تجد طالب علم يبحث في السنة النبوية وشرحها إلا ورجع إلى هذا الكتاب . والمنهج الذي سار عليه العظيم آبادي في شرحه هذا ؟ يمكننا ان نجمله بما يأتي :

١- طريقته في التعامل مع مصادره .

أ- الاكتفاء بذكر اسم المؤلف، دون ذكر اسم الكتاب وهنا يصعب تحديده فغالباً ما يكون لهذا المؤلف كتب كثيرة ومن شواهد هذا: قال البغوي: وقال السيوطي، وغيرها كثير.

ب- وكان أحياناً يذكر الكتاب ولا يذكر المؤلف مثال ذلك قوله: كذا في النيل وكذا

والأعلام للزركلي : (٦ / ٣٩) .

(١) ينظر : الاعلام بمن في تاريخ الهند من الاعلام (٨/ ١٢٤٣) .

في إرشاد الساري.

جـ- وأحياناً كان يذكر الكتاب مختصراً . مثال ذلك: كذا في المرقاة، وكذا في الإصابة .

د- وأحياناً أخرى يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب معاً ومن ذلك: قال القاضي الشوكاني في النيل . وقال المناوي في فتح القدير .

هـ - وأحياناً كان يذكر مصادره بصيغة اجمال مما أدى ذلك إلى عدم الوقوف على هذا المصادر من ذلك قوله: قال أهل اللغة. وقوله ذكر بعض الشراح . وقوله قال بعض العلماء. وكذا في بعض التفاسير .

٢- الاستدلال بالقرآن الكريم في الشرح .

٣- ترجم أبو داود لعدد من الأبواب ببعض آيات القرآن الكريم فعمل صاحب عون المعبود في شرحه على تقديم تفسير موجز لها يبين معناها ويوضح المراد منها.

٤- وقف الإمام شمس الحق على القراءات الصحيحة التي وردت في الآيات التي جاءت في سنن أبي داود فذكر من قرأ بها وبين وجوه التفسير التي قامت عليها.

٥- كان شمس الحق يشرح الحديث مشيراً إلى عادات العرب وتقاليدهم بل ومعتقداتهم التي كانوا عليها قبل الإسلام، وكان ذلك أمراً ضرورياً لأن هناك أحاديث لا يكتمل معناها إلا بالرجوع بها إلى السياق الذي قيلت فيه .

٦- وكان الإمام شمس الحق بين أن الترجمة التي وضعها الإمام أبو داود مطابقة لأحاديث الباب ومشتملة على ما فيها من مسائل، كما أنها تقوم دليلاً عليها وتبين صحة الحكم بها .

٧- اهتم بذكر المواليد والوفيات لرواة الحديث عند الإمام أبي داود، وذلك لأهمية هذا الأمر في معرفة اتصال السند وانقطاعه.

٨- وقف الإمام شمس الحق على الأحاديث المنسوخة في سنن أبي داود فبينها وذكر

الأحاديث التي نسختها .

٩- واهتم الإمام- رحمه الله - بما جاء من الغريب في سنن أبي داود فعرَّف بالكلمات التي غلب على ظنه أنها غريبة واعتمد في ذلك على أهم مصادر غريب الحديث.

١٠- كان يعنى بتصويبات ابن القيم وتعليله للأحاديث، وينقل عن فتح الباري، ومعالم السنن وغيرها من الشروح. ١١- العناية بالجانب الفقهي .

المبحث الثاني
آراؤه في الرد على الفرق الكلامية
تمهيد

(تأول الإمام شمس الحق العظيم آبادي، قوله ﷺ: (تفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[١]، بأنه لم يرد المختلفين في فروع الفقه، وإنما قصد من خالف الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئاً فشيئاً إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل الحق أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية) [٢].

فهم أهل القرآن والحديث والفقه والعلم الذين اجتمعوا على إتباع آثاره ﷺ في جميع الأحوال كلها .

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة: (٤ / ١٩٨) برقم (٤٥٩٦)، والمعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٤١٥) برقم (١٤٥١٧).

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٢٧١) .

وقد بين الله سبحانه رجال هذه الفرق المبتدعة فوصفهم بقوله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾(١).

قال الإمام شمس الحق في تفسير هذه الآية: (إنها تعم كل طائفة من الطوائف الخارجة عن الحق من طوائف البدعة، فإنهم يتلاعبون بكتاب الله تلاعباً شديداً، ويوردون منه لتنفيق جهلهم ما ليس من الدلالة في شيء .. طلباً منهم لفتنة الناس في دينهم، وتفسره على الوجه الذي يريدونه، ويوافق مذاهبهم)(٢).

وقد حمل قوله ﷺ: (ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)(٣)، على أنه تحذير لكل من خالف السنة، ولم يعمل بها، فقال: (يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا)(٤).

وقد استشرى أمر رجال الفرق، وتطاير خطرهم، وفشت أقوالهم في عصر أتباع التابعين . قال الإمام شمس الحق العظيم آبادي: (وفي هذا الوقت (أي قرن أتباع التابعين) ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرا شديداً)(٥).

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٧.
(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٢٧١) .
(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة: (٤ / ٢٠٠) برقم (٤٦٠٤) .
(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٢٧٧) .
(٥) المصدر نفسه : (١٢ / ٢٣٠) .

هذا وقد ذكر الإمام شمس الحق العظيم آبادي في كتابه (عون المعبود) بعض هذه الفرق، إما بالرد عليها فيما تبنته من آراء وأفكار اعتقاديه، أو بالاختصار على ذكرها وبيان صفتها بناءً على ذكرها في الأحاديث التي وردت في سنن أبي داود، ومن هذه الفرق: (الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والقاديانية)، ولم يعرف الإمام العظيم آبادي ببعض هذه الفرق، ولإتمام الفائدة ارتأيت أن أُعرف بها وبأفكارها ومعتقداتها، وأبين رأي الإمام فيها، والذي أبانه في شرحه، ومن الله استمد العون .

المطلب الأول

الخوارج

ذُكر الخوارج في سنن أبي داود في (كتاب السنة)، باب في الخوارج، وفي بعض النسخ: باب في قتل الخوارج . وقد ذكر من الأحاديث التي تخصهم ما يقارب الاثني عشر حديثاً أذكر منها الآتي :

١-عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[1].

قال صاحب عون المعبود: قال الخطابي[2]: (الربقة ما يُجعل في عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد، يقول: من خرج من طاعة إمام الجماعة، أو فارقها في الأمر المجتمع

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الخوارج: (١٣ / ٥٦) برقم (٤٧٦٠) .

(٢) الخطابي(٣١٩ – ٣٨٨ هـ) هو حمد بن محمد بن ابراهيم البستي، ابو سليمان من اهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب) فقيه محدث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة . من تأليفه: (معالم السنن) في شرح ابي دواد ؛ و(غريب الحديث) ؛ و(شرح البخاري) ؛و(الغنية) [معجم المؤلفين ١/ ١٦٦ ؛ وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢١٨] .

عليه، فقد ضل وهلك، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع)[1].

٢-عن عرفجة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون في أمتي هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)[2].

نقل صاحب عون المعبود: عن النووي[3] قوله: (الهنات، المراد بها ههنا: الفتن والأمور الحادثة، وفيه الأمر بقتال من خرج على الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك)[4]، وقال المناوي: (والهنات شدائد وعظائم وأشياء قبيحة منكرة وخصلات سوء جمع هنة وهي كناية عما لا يراد التصريح به لشناعته، فمن رأيتموه فارق الجماعة اي :الصحابة ومن بعدهم من السلف، أو يريد أن يفرق أمة محمد كائنا من كان، أي: سواء كان من أقاربي أو غيرهم . قال الطيبي: وهذا فيه معنى الشرط فاقتلوه وفي رواية فاضربوه بالسيف (فإن يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض) فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشريعة واحدة ألا تراه يقول ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: من الآية ١٠، فمن فارقهم خالف أمر الرحمن فلزم الشيطان قال أبو

---

(١) معالم السنن للخطابي: (٤٠ / ٣٣٤)،أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي(٢٢٨ هـ)، المطبعة العلمية، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، وينظر :عون المعبود للعظيم آبادي(١٣/ ٥٨).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الخوارج: (١٣ / ٦٠) برقم (٤٧٦٢).

(٣) النووي(٦٣١ - ٦٧٦ هـ) هو يحيي ين مشرف بن مري بن حسن، النووي (او النواوي) ابو زكريا، محيي الدين . من أهل نوي من قري حوران جنوبي دمشق . علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، تعلم في دمشق واقام بها زمنا .من تصاني (المجموع شرح المهذب) لم يكمله ؛ و(روضة الطالبين)؛ و(المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) [طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥؛ والاعلام للزركلي ٩/ ١٨٥ ؛ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨] .

(٤) شرح النووي على مسلم: (٦ / ٣٢٤٠)، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢ ١٣٩٢ م، وينظر:عون المعبود للعظيم آبادي (١٣ / ٦٠) .

شامة: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وإتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف كثيرا أي الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب ولا نظر لكثرة أهل الباطل بعدهم قال البيهقي: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانوا عليه من قبل وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ)[1] والله اعلم .

٣ - عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك، عن رسول الله r قال: (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله تعالى منهم، قالوا: يا رسول الله: ما سيماهم؟ قال: التحليق)[2].

قال صاحب عون المعبود: (طوبى لمن قتلهم وقتلوه)، من قتلهم فإنه يصير غازياً[3]، (وقتلوه)، أي لمن قتلوه فإنه يصير شهيداً)[4].

فهذه الأحاديث التي جاءت في ذكر الخوارج وذكر عقائدهم وذكر صفاتهم وعلامتهم، واليك التعريف بهم :

أولاً: التعريف بالخوارج :

قال صاحب عون المعبود: (هي فرقة من أهل الباطل خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ ،(٤/ ٩٩) .

(٢) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة، باب قتال الخوارج: (١٣ / ٦٤) برقم (٤٧٥٠).

(٣) غازيا: جاء في لسان العرب غزا الشيء غزوا: أراده وطلبه. وغزوت فلانا أغزوه غزوا. والغزوة: ما غزي وطلب . ينظر: لسان العرب (١٥/ ١٣٠) .

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٤) .

عقائد فاسدة من بغض عثمان وعلي وعائشة رضي الله عنهم، ومن وقع بينهم الحرب من الصحابة ويكفرون من ارتكب الكبيرة، قاتلهم علي ومعاوية رضي الله عنهما)[1] .

وقد عرف الشهرستاني[2] في الملل والنحل الخوارج تعريفاً سياسياً عاماً، عد فيه الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان اذ قال: (كل من خرج على الإمام الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين والأئمة في كل زمان)[3].

وقد أخذت التسمية بمعنى الخروج على الأئمة أو على الناس أو على الدين أو على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي لا شك تسمية ذم لهم، ويكون مخالفوهم هم الذين سموهم باعتبار هذه المعاني . وهو ما سار عليه كثير ممن كتب عن هذه الفرقة من علماء الفرق وغيرهم[4]. على أن إنكار الخوارج لهذه المعاني إنما هي باعتبار أنهم مخطئون فيها، وإلا فإن الخروج على الأئمة أو على الناس أو على علي بن أبي طالب كانت حقاً في نظرهم، وقد

---

(١) المصدر السابق نفسه: (١٣ / ٥٥) .

(٢) (الشهرستاني٤٧٩ - ٥٤٨ ه) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الاسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ ه، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها. من كتبه (الملل والنحل) ثلاثة أجزاء، و (نهاية الاقدام في علم الكلام) و(الارشاد إلى عقائد العباد) وغيرها. [وفيات الاعيان ١/ ٤٨٢، ومفتاح السعادة ١/ ٢٦٤، وتاريخ حكماء الاسلام ١٤١، وآداب اللغة ٣/ ٩٩].

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤)، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤، تحقيق، محمد سيد الكيلاني.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر: (١٢/ ٢٨٣)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، تاج العروس للزبيدي: (٢ / ٣)، دار الهداية، والمعجم الوسيط: (١ / ٢٢٤)، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية .

أجمع مؤرخو الفرق على تسميتهم بهذا الاسم (الخوارج) [1]

والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في الإسلام .

قال ابن الجوزي[2]: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذي الخويصرة، وهذا الرجل يقال له: ذو الخويصرة التميمي وهو الذي قال للنبي ﷺ: اعدل، فقال ﷺ: (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ...)[3]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ. وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم شهروا السيوف على المسلمين، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ: (اعدل فما عدلت). وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي، نعوذ بالله من الخذلان[4]، وهذا ما أشار إليه ﷺ في الحديث الموجود في سنن أبي داود: (إن من ضئضئي هذا الرجل) [5].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: (٧ / ١٧٠)، تحقيق، علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(٢) ابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧ ه) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والاخبار)، و(الاذكياء وأخبارهم) و (مناقب عمر بن عبد العزيز)، و (تلبيس إبليس) وغيرها . [الكامل لابن الاثير ١٠/ ٢٢٨، والاعلام للزركلي ٣/ ٣١٩] .

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي: (٤ / ٢٤٣) برقم (٣٦١٠)، وصحيح مسلم، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: (٣ / ١٠٩) برقم (٢٤٩٦)، وينظر: سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة: (١٣ / ٦٢) برقم (٤٧٤٩) .

(٤) ينظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي: (١/ ٨٣)، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

(٥) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة، باب قتال الخوارج: (١٣ / ٦٢) برقم (

قال صاحب عون المعبود: (أي من أصله)[1] .

قال الخطابي: (الضئضئي: الأصل، يريد أنه يخرج من نسله الذين هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به ويبنون رأيهم ومذهبهم على أصل قوله)[2] وقد ذكرهم بعض المفسرين في انطباق آيات من القرآن الكريم عليهم فقد ذكر السيوطي[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾[4]. قال أخرج أبي حاتم والطبراني بسند جيد عن حميد بن مهران المالكي الخياط، قال: سألت أبا غالب عن هذه الآية، فقال: حدثني أبو إمامة عن رسول الله ﷺ: أنه قال: (هم الخوارج)[5].

وذكرهم الطبري[6] في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ

٣٧٤٩).

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣) .

(٢) معالم السنن للخطابي: (٤ / ٣٣٤)، وينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣) .

(٣) السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) هو عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين ابو الفضل . أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيما . كان عالما شافعيا مؤرخا ادبيا وكان اعلم اهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة . كان سريع الكتابة في التأليف . مؤلفاته تبلغ عدتها خمسائه مؤلف ؛ منها (الأشباه والنظائر) في فروع الشافعية؛ و(والحاوي للفتاوي)؛ و(والاتقان في علوم القرآن) ،[شذرات الذهب ٨/ ٥١ ؛ والضوء اللامع ٤/ ٦٥ ؛ والاعلام ٤/ ٧١].

(٤) سورة آل عمران: من الآية ١١٨ .

(٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي: (٦ / ٢٩٣)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر، دار الهجر – مصر، سنة النشر ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٦) ابن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ ه) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي به .له (أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا، و (جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءا، و (اختلاف الفقهاء) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الاثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ . [ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦ وتهذيب التهذيب ٩/ ٩٦] .

إِيمَٰنِكُمۡ ﴾[1] (قال هم الخوارج)[2].

هذا وقد انقسمت هذه الفرقة على عدة فرق تجاوزت العشرين فرقة، وقد قسم أهل المقالات كبار فرق الخوارج الى سبع فرق اساسية وهي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة، والإباضية، والصفرية[3].

وفي زماننا هذا لم يعد لفرق الخوارج وجود سوى فرقة الإباضية، وتنتشر في سلطنة عمان وجنوب ليبيا وبلاد المغرب العربي وزنجبار، كما تبنى بعض جماعات التكفير والغلو المعاصر اصول التكفير من الخوارج، مثل جماعات التكفير والهجرة في مصر واليمن والأردن وباكستان وغيرها[4].

ثانياً: أبرز عقائدهم :

لم تتجاوز عقائدهم في أصولها الأولى مسائل معدودة، مثل تكفير مرتكب الكبيرة، وبسبب وضعهم الدليل في غير ما يدل عليه، فقد رتبوا على حكم تكفير مرتكب الكبيرة استحلال قتل المسلمين، وفي ذلك يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (ذهبوا إلى الآيات التي أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٠٦ .

(٢) تفسير الطبري: (٥ / ٦٦٥)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، الناشر، دار هجر - مصر .

(٣) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني: (٣ / ١١٣) محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤، تحقيق: محمد سيد كيلاني، وينظر: أصول الدين عند الإمام أبو حنيفة، د. محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص ١٦٩)، دار الصميعي، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، وينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ١١)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧ .

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٢ / ١٠٥٣ - ١٠٥٤)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني: (١ / ١١٤) .

قال صاحب عون المعبود:(يقتلون أهل الإسلام ،لتكفيرهم إياهم بسبب الكبائر) [1].

ومن عقائدهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة المسلمين بارتكابهم الفسق أو الظلم قال الشهرستاني: (ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجبا) [2] .

- وأيضاً تكفيرهم بعض الصحابة كأهل التحكيم: (عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري)، وكل من رضي بالتحكيم .

- وتكفير أصحاب الجمل بمن فيهم عائشة أم المؤمنين [3].

- زيادة على ردهم بعض الأحاديث التي يرون كفر رواتها من الصحابة، وما زعموا مخالفتها لكتاب الله تعالى[4].

- وكذلك لا يشترطون الإمامة في قريش [5] .

- وكذلك اعتقادهم بإنكار الشفاعة لعصاة الموحدين، لأن العصاة عندهم - مخلدون في النار فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار [6] .

ولا ريب أنهم أخطأوا في تكفير المسلمين بالذنوب اذ إن الناس عندهم قسمان: مؤمن

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: (١/ ١١٣)، وينظر الفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ٣٠٧)، وينظر العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١ / ٣١٩)، الناشر، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٤، ١٣٩١ .

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ٥٧)، والعقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١ / ٤٨٢).

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ٣١٥) .

(٥) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري: (٢/ ٩٠)، مكتب الخانجي - القاهرة .

(٦) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٢/ ١٠٥٥) .

لا ذنب له، وكافر لا حسنة له، بينما قسم الله تعالى الأمة التي أورثها الكتاب وصنفها إلى ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق إلى الخيرات[1]. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[2].

ومع هذا لم يحكم عليهم السلف بالكفر ولكن عدوهم من الفرق الهالكة الضالة النارية الاثنتين والسبعين التي أخبر عنها النبي ﷺ في حديث الافتراق المشهور. ولهذا اتفقت الأمة قديماً وحديثاً على ذم الخوارج وأنهم قوم سوء وعصاة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة لأنهم كانوا في هذا كله يعملون ما يرضي أنفسهم لا بما يرضي الله ورسوله ﷺ[3]. ويدل عليه عمل السلف الصالح، ألا ترى صنع علي رضي الله عنه في الخوارج وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾[4][5].

ثالثاً :ما جاء في وصفهم وعلاماتهم :

لقد وصف النبي ﷺ الخوارج بأوصاف وذكرها في الحديثين الآتيين :

(إنّ من ضئضئي هذا أو من عقب هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، لأقتلنهم قتل عاد)[6].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٧/ ٤٨٥)، تحقيق أنور البار- عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٦٢ هـ - ٢٠٠٥م

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢ .

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٨ / ٢١٨) .

(٤) سورة الحجرات: من الآية ٩ .

(٥) ينظر: الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي: (٢ / ١٨٦)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

(٦) سنن أبي داود بشرح عون المعبود: (١٣ / ٦٣) برقم (٤٧٤٩) .

وقال في حديث آخر: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)[1] .

أ- فأول هذه الأوصاف كونهم: يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم .

قال صاحب عون المعبود :(المعنى لا يتجاوز أثر قراءتهم عن مخارج الحروف والأصوات، ولا يتعدى إلى القلوب، أو المعنى: إن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، فكأنها لم تتجاوز حلوقهم)[2] .

فذمهم بذلك اذ تركوا التدبر في القرآن الكريم والأخذ بظواهر المتشابهات كما قالوا: (حكم الرجال في دين الله، والله يقول ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾)[3] .

ب_ وقال في وصفهم أيضاً: يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية .

قال صاحب عون المعبود: (يريد أن دخولهم في الدين وخروجهم منه، ولم يتمسكوا منه بشيء، كالسهم الذي دخل في الرمية ثم يقدها ويخرج منها ولم يعلق به منها شيء)[4].

قال ابن حجر: (يمرقون منه أي يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد فأصاب ما رماه فنفذ منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشيء منه من المرمى شيء)[5]. قال أبو عبيد الهروي[6]: (يعني أنه دخل فيها ثم خرج منها لم يعلق له

---

(١) المصدر نفسه : (٣ / ٦٥) برقم (٤٧٥٢) .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٤) .

(٣) سورة الأنعام، من الآية (٥٧) . ينظر: الاعتصام للشاطبي: (٢ / ١٩٩) .

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣) .

(٥) فتح الباري لابن حجر: (١٢ / ٢٩٤٠) .

(٦) أبو عبيد الهروي (٠٠٠ - ٤٠١ ه): العلامة أبو عبيد، أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الهروي الشافعي اللغوي المؤدب، صاحب (الغريبين) وهو الجمع بين غريبي القرآن والحديث، أخذ علم اللسان عن الأزهري وغيره، ويقال له الباشاني: قرية من أعمال هراة. وقد ذكره أبو عمرو بن الصلاح في (طبقات الشافعية)، قال ابن خلكان: سار كتابه في الآفاق وهو من الكتب النافعة. ينظر: [وفيات الأعيان: (١ / ٩٦)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٤ / ٨٤) للعلامة تاج الدين بن علي بن

منها شيء فكذلك دخول هؤلاء في الإسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا منه بشيء)[1].

ج ـ ومن صفاتهم أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، قال صاحب عون المعبود: (يقتلون أهل الإسلام لتكفيرهم إياهم بسبب الكبائر ويخالفون السنن التي لم ترد في القرآن، وينكرون العمل بها فلم يأخذوا برأي أهل السنة في رجم الزاني ودفعوا ذلك واعتلوا بأن الرجم لم يذكر في القرآن)[2] .

دـ ومن صفاتهم أيضاً أنهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام .

قال صاحب عون المعبود: (أي أنهم صغار الأسنان، ضعاف العقول)[3]. قال العيني[4] في عمدة القارئ: (حدثاء الأسنان، أي صغار، وقد يعبر عن السن بالعمر، والحدثاء جمع حديث السن، وكذا يقال غُلمان، أما قوله سفهاء الأحلام، أي ضعفاء العقول والسفهاء جمع سفيه، وهو ضعيف العقل)[5] .

هـ ومن صفاتهم أيضاً أنهم يقولون من خير قول البرية .

عبد الكافي السبكي].

(١) غريب الحديث للهروي: (١ / ٣٣٦)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٣٩٦، تحقيق، د. محمد عبد المجيد خان .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣)، وانظر: معالم السنن للخطابي: (٤ / ٢٩٨) .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٦) .

(٤) بدر الدين العيني (٧٦٢ – ٨٥٥ ه) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس.، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و (مغاني الاخيار في رجال معاني الاثار)، و(العلم الهيب في شرح الكلم الطيب) وغيرها .[الضوء اللامع ١٠/ ١٣١، وشذرات الذهب ٧/ ٢٨٦، والجواهر المضية ٢/ ١٦٥] .

(٥) عمدة القارئ للعيني: (٢٤ / ١٧١) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

قال صاحب عون المعبود: (أي خير ما يتكلم به الخلائق، وقيل: أراد بخير قول البرية القرآن وفي بعض النسخ (من قول خير البرية) والظاهر أن المراد بخير البرية: النبي ﷺ)[1]. قال الكرماني[2]: ويروى من خير قول البرية، أي من القرآن، ويحتمل أن تكون الإضافة من باب ما يكون المضاف داخلاً في المضاف إليه، وحينئذ يراد به السنة لا القرآن[3]. أما ابن حجر فرجح بأن المراد بذلك القرآن واستدل على ذلك بقوله: كان أول كلمة خرجوا بها قولهم لا حكم إلا لله وانتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها[4].

أما علامتهم، فقد ذكر صاحب عون المعبود: (أن من علامتهم التحليق)، (وهو حلق الرأس واستئصال الشعر))[5].

ومن علامتهم أيضاً: أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد أو مثدون اليد: قال صاحب عون المعبود: (هو صغير اليد، مجتمعها كثدوة الثدي)[6]. وهو الذي قتله سيدنا علي رضي الله عنه عندما قاتلهم في النهروان كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد قال

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٦) .

(٢) الكرماني) ٧١٧-٧٨٦ه) هو محمد بن يوسف بن علي بن عبد الكريم الكرماني . ولد بكرمان، نشأ في أسرة كان لها شأن في طلب العلم وتدريسه . ولقي اهتماماً كبيراً من والده حيث زرع في قلبه حب العلم والعلماء حتى جعله يفوق أقرانه، ثم أصبح من أشهر علماء زمانه . توفي يوم السادس عشر من المحرم . [البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: (٢ / ٢٨٣)، الأعلام للزركلي :(٧ / ١٥٣)] .

(٣) ينظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: (٢٤ / ١٧١) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٦١٩) الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣)، وانظر: معالم السنن للخطابي: (٤ / ٢٩٨) .

(٦) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦١) .

رسول الله ﷺ: (آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة)، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علياً بن أبي طالب، قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فوجد فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت)[1].

رابعاً: فضل قتالهم :

لقد حث رسول الله ﷺ على قتال الخوارج مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتلاوة للقرآن، فلم تنفعهم كثرة العبادة لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة والمروق من الدين وذلك لتكفيرهم عصاة الموحدين واستحلال دمائهم . وقد تقدم في هذا المبحث ذكر الخوارج وصفاتهم وما ورد فيهم عن رسول الله ﷺ، وعرفنا شيئاً مما أحدثوه في الإسلام، فهؤلاء لا شك في وجوب قتالهم، وقد دل على ذلك:

- الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[2]. فهذا أمر واضح يدل على وجوب قتالهم كونهم بغاة حتى يفيئوا إلى أمر الله ويرجعوا إلى جماعة المسلمين، والخوارج حينما ظهروا فارقوا جماعة المسلمين وبغوا عليهم وناصبوهم العداء، فهم يدخلون في عموم هذه الآية [3].

- السنة: دلت السنة على وجوب قتالهم، وقد استفاضت عن النبي ﷺ الأحاديث في ذم الخوارج، والأمر بقتالهم، وهي أحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرها .

ففي الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ، والذي قال فيه بعد ذكر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: (٣ / ١١٢) برقم (١٠٦٤).
(٢) سورة الحجرات: من الآية ٩ .
(٣) ينظر: البلاغ المبين، لعبد المجيد الشاذلي (٢/ ٣٠٧) .

صفاتهم: (فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة) [1])[2]

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح المتواتر: (لو أدركتهم لقتلتهم قتل عاد) [3].

قال صاحب عون المعبود:(أراد بقتل عاد استئصالهم بالهلاك، فإن عاداً لم تقتل، وإنما أهلكت بالريح واستأصلت بالهلاك)[4]. وقال أيضاً في تفسير قوله ﷺ: (لا تكلوا إلى العمل)[5]. (المعنى: لو اعتمدوا على ذلك العمل، وهو قتالهم لما فيه من الأجر العظيم واكتفوا به دون غيره من الأعمال الصالحة)[6]. واتفق الصحابة على قتال الخوارج، فهذا سيدنا علي رضي الله عنه يقول حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج: (والله لأقتلنهم ولو تلفت ساقي يريد نفسه)[7]. وفي حديث آخر أن علياً ذكر النهروان: (فقال لهم .... لولا أن تبطروا لنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ) [8].

قال صاحب عون المعبود: (البطر هو شدة الفرح أو الطغيان عند النعمة، أي لولا

---

(١) متفق عليه، والرواية للبخاري، صحيح البخاري: (٤ / ٢٤٤) برقم (٣٦١١)، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي: (٧ / ١٦٩) .

(٢) ينظر: أصول وتاريخ الفرق: (١ / ١٧)، د. مصطفى بن محمد بن مصطفى .

(٣) صحيح البخاري، باب بدء الوحي: (٤ / ١٦٧) برقم (٣٣٤٤)، صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ٣ / ١١٠) برقم (٢٤٩٩)، وسنن أبي داود بشرح عون المعبود، باب قتال الخوارج: (٣٧٤٩)، واللفظ له .

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٣) .

(٥) سنن أبي داود بشرح عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٦) .

(٦) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦٦) .

(٧) عمدة القارئ للعيني: (٢١ / ٤٢١)، النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢ / ١٠٣٦)، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م، تحقيق، طاهر أحمد الزاوي.

(٨) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، باب قتال الخوارج: (١٣ / ٦١) .

خوف البطر منكم بسبب الثواب الذي أعد لقاتلهم فتعجبوا بأنفسكم لأخبرتكم) [1].

وهذا ابن عمر مع امتناعه عن الدخول في الفتنة قال عند الموت (ما آسى على شيء إلا على أني لم أقاتل الطائفة الباغية مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يريد بذلك قتال الخوارج وذلك عندما بلغ ابن عمر قول النبي ﷺ في الخوارج وأمره بقتالهم، تحسر على ترك قتالهم)[2]. وقال القرطبي[3] فيهم: (وأما الخوارج على أئمة العدل فيجب قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق) [4].

وقال ابن قدامة رحمه الله[5]: (والصحيح إن شاء الله أن الخوارج يجوز قتلهم ابتداء والإجهاز على جريحهم لأمر النبي ﷺ بقتلهم ووعده بالثواب لمن قتلهم)[6].

فهذه الأحاديث والنقول استدل بها من يرى جواز قتلهم ابتداء وهذا كله في الصحيح فثبت أن قتلهم لا لعموم كونهم بغاة أو محاربين فقط وانما لخصوص صفتهم وهذا القدر موجود في الواحد منهم كوجوده في العدد منهم، وإنما لم يقتلهم عليٌّ - رضي الله عنه - أول ما ظهروا لأنه لم يبن لهم أنهم الطائفة المنعوتة حتى سفكوا دم ابن خباب- رضي الله

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٦١) .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١ / ٢٣٢) .

(٣) القُرْطُبي (٠٠٠ - ٦٧١ هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة . من كتبه « الجامع لأحكام القرآن »، وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. [نفح الطيب ١/ ٤٢٨ والديباج ٣١٧ والكتب خانة ٢/ ١٤٩] .

(٤) الجامع لأحكام القران للقرطبي: (٢ / ٣٥٠)، دار عالم الكتب - الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) ابن قدامة (- ٦٢٠ هـ) هو عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة . من أهل جماعيل من قرى نابلس بفلسطين . قال بن غنيمة: (ما اعرف احداً في زماني ادرك رتبه الاجتهاد الا الموفق) ومن تصانيفه (المغني في الفقه شرح مختصر الحزقي) عشر مجلدات و(الكافي)، و (العمدة) . [ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ١٣٣ - ١٤٦، وتقديم (كتاب المغني) لمحمد رشيد رضا، والاعلام للزركلي ٤/ ١٩١].

(٦) المغني لابن قدامة: (٨ / ١٠٧)، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٠٥ه .

عنه-، وأغاروا على سرح الناس، فظهر فيهم قوله «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» فعلم أنهم المارقون[1]، والله اعلم .

المطلب الثاني

القدرية

اسم أطلقه أهل السنة والجماعة على الذين نفوا القضاء والقدر السابق من الله تعالى، وزعموا أنهم هم الفاعلون لأعمالهم دون تقدير من الله عز وجل وان الأمر أنف[2]، يقول البغدادي: (وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وانه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية)[3].

وقال صاحب عون المعبود: (القدرية: الذين يقولون لا قدر. أي: ينفون القدر)[4]، فأن العرب قد يسمون الشيء بضده لسبب كما سموا اللديغ سليماً تفاؤلاً بشفائه وكذلك هنا سموا الذين ينفون القدر بالقدرية .

وكان معبداً الجهني أخذ هذه المقالة عن رجل نصراني اسلم ثم تنصر، قال الأوزاعي: (أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له (سوسن) كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني واخذ غيلان عن معبد)[5].

وبعد أن اخذ غيلان هذه المقالة عن معبد رفع أمره إلى عمر بن عبد العزيز فأتي به،

---

(١) ينظر: البلاغ المبين، لعبد المجيد يوسف الشاذلي (٢/ ١٠٧) .
(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم: (١/ ١٥٠) .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي: (ص٩٤) .
(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٣٣٧) .
(٥) تهذيب الكمال للمزي: (٢٨/ ٢٤٥)، وتاريخ مدينة دمشق لابن القلانسي: (٤٥/ ١٩٢) .

وناظرهم، فأظهر توبته وانه رجع عما كان عليه ،فأطلقه عمر فلما توفي عمر بن عبد العزيز وتولى هشام بن عبد الملك . تكلم غيلان وقال بنفي القدر، فأحضره هشام، وذكره بتوبته في عهد عمر، فقال غيلان: أقلني يا أمير المؤمنين فو الله لا أعود، قال لا أقالني الله إن أقلتك هل تقرأ فاتحة الكتاب فقال: نعم، قال اقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]، قال: قف على ما استعنته ؟ على أمر بيده لا تستطيعه أو على أمر في يدك أو بيدك؟ إذهبا فاقطعا يديه ورجليه واضربا عنقه واصلباه)[2] .

هذا زيادة على ما ذكرت سابقاً أن من بقي من الصحابة كابن عمر وابن عباس وغيرهما قد تصدوا لهم وأخبروا أنهم مجوس هذه الأمة، لقوله ﷺ في الحديث الذي أورده أبو داود في سننه: (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وان ماتوا فلا تشهدوهم)[3] .

قال صاحب عون المعبود: (قال الخطابي في المعالم، إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم إلى مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره والله سبحانه خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، وخلقه الشر شراً في الحكمة، كخلقه الخير خيراً، فإن الأمرين جميعاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً، والى الفاعلين لهما فعلاً

---

(١) سورة الفاتحة الآيات: (١-٤) .

(٢) أخرجه عبد الله بن احمد بن حنبل في السنة: (٢/ ٤٢٩)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: (٤/ ٧١٥) .

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر: (١٢/ ٣٣٦) برقم (٤٦٩١)، وسنن ابن ماجه، باب في القدر (١/ ٣٥) برقم (٩٥) قال الشيخ الالباني حديث حسن.

واكتساباً)[1].

والقدرية لم يرضوا بتسميتهم بالقدرية، ويقولون الأولى أن تسمى به الطائفة الجبرية ويظهر من هذا الحديث انه كان يطلق على القدرية الأولى وهم غلاة القدرية الذين كانوا ينكرون العلم السابق واثبات أن الأمر أنف، يقول الامام ابن تيمية: وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون انه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف، أي مستأنف، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم)[2].

إلا أن القدرية فيما بعد اضمحل مذهبهم في المذاهب الأخرى فلم يبق لهم مذهب مستقل ويذكر الاسفراييني أن القدرية الأولى اخذوا مذهبهم من قدرية اليهود ويتسترون بمذهبهم[3].

وفي ذلك يقول الإمام النووي رحمه الله: (وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم)[4].

ويمكن تلخيص مذهبهم بالنقاط الآتية:

١- زعمت القدرية انه سبحانه وتعالى لم يقدر الأشياء في القدم، ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفة أي انه سبحانه وتعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يعملوها تعالى الله عن ذلك القول[5]، فالعبد قادر على أفعال نفسه فهو الذي يأتي الخير

---

(١) معالم السنن للخطابي: (٤/ ٣١٧)، وينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٣٣٦) .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه: (٨/ ٤٥٠) .
(٣) ينظر: التبصرة في أصول الدين للاسفراييني (١٥) .
(٤) شرح النووي على مسلم: (١/ ١٥٤) .
(٥) المصدر نفسه .

بإرادته وقدرته، ويترك الشر أو يفعله باختياره وليس للقدر سلطان عليه[١].

٢- وزعموا أيضاً أن الحسنات والخير من الله، والشر والسيئات من أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى الله تعالى شيئاً من السيئات والمعاصي، أي: أن الشر ليس بخلق الله تعالى[٢].

وقد أجيب عن هذه المزاعم بإجابات عدة منها :

أ- ورد في سنن أبي داود عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن النبي ﷺ سُئِل عن أولاد المشركين قال: (الله اعلم بما كانوا عاملين)[٣] .

قال صاحب عون المعبود: (قال النووي: في أطفال المشركين ثلاثة مذاهب، قال الأكثرون من الفقهاء: هم في النار تبعاً لآبائهم، وتوقفت طائفة فيهم، والثالث: وهو الصحيح الذي ذهب إليه آخرون أنهم من أهل الجنة)[٤].

وتعقب الإمام العيني هذا الحديث فقال: (غرض البخاري من هذا الرد على الجهمية في قولهم إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يعملوها تعالى الله عن ذلك، واخبر الشارع في هذا الحديث أن الله يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون، فأحرى أن يعلم ما يكون وما قدره وقضاه في كونه وهذا يقوي ما ذهب إليه أهل السنة أن القدر هو علم الله وغيبه الذي استأثر به فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً)[٥].

وقال صاحب عون المعبود: (قال الخطابي: ظاهر هذا الكلام يوهم انه ﷺ لم يفت السائل عنه، وانه رد الأمر في ذلك إلى علم الله من غير أن يكون قد جعلهم من المسلمين،

---

(١) ينظر تاريخ الفرق الإسلامية، عبد الفتاح، المغربي (٣٣) .

(٢) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي (١٢/ ٣٣٦) .

(٣) صحيح البخاري: (٦/ ٢٤٣٤)، برقم (٦٢٢٤)، وسنن أبي داود كتاب السنة، باب في ذراري المشركين: (١٢/ ٣٥٤) برقم (٤١١٧) واللفظ له .

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٣٥٣)، شرح النووي على مسلم: (١٦/ ٢٠٧).

(٥) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٣٣٦)، عمدة القاري للعيني: (٢٣/ ١٤٩) .

أو ألحقهم بالكافرين، وليس هذا وجه الحديث، وإنما معناه: أنهم كفار ملحقون بآبائهم، لأن الله قد علم أنهم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لكانوا يعملون عمل الكفار)[1].

ب-ومن الأحاديث التي تفند رأي القدرية حديث الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سبق ذكره[2] فقال فيه ابن بطال-رحمه الله-: (هذا الحديث أصل لأهل السنة في أن السعادة والشقاء بخلق الله تعالى بخلاف القدرية الذين يقولون: إن الشر ليس بخلق الله)[3].

قال النووي:(فيه إثبات للقدر وان جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره لا يسأل عما يفعل)[4].

والذي يظهر من خلال الفقرة السابقة أن المنجرفين في القدر طرف غالوا في النفي وقالوا: لا قدر والأمر أنف، وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله وهؤلاء هم القدرية[5]، وقد انقرضت هذه المدرسة، وكان هذا أمراً حتمياً بسبب التطرف الذي طبع هذه الفكرة وميلها الى ما لا يستسيغه عقل المؤمن [6].

---

(١) معلم السنن للخطابي: (٣/ ١٥٩)، وينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٣٤٥) .

(٢) حديث الامام علي رضي الله عنه هو قول على كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبى (صلى الله عليه وسلم)، فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس، وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة)، فقال رجل لرسول الله: أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: (أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة، ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى (الآية).شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي :(٤/ ٦٦٦) .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٣/ ٣٤٩).

(٤) شرح النووي على مسلم: (١٦/ ١٩٥) .

(٥) ينظر: شرح النووي على مسلم: (١/ ١٥٤)، وعمدة القاري للعيني: (٢٣/ ١٤٩) .

(٦) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد:(٢٧٧)، مطبعة اسعد بغداد.

اما مذهب صاحب الشرح فوجدته يتفق مع ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة واجمع السلف الصالح عليه، قال صاحب عون المعبود : (والحاصل: أن المسلمين أي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أقروا بالقدر، وتيقنوا به، وسلموا ذلك لربهم، وضعفوا أنفسهم، أي: استحالوا أن يكون شيء من الأشياء مما عزب وغاب عن علمه تعالى لم يحط به علمه تعالى، ولم يضبطه كتابه، ولم ينفذ فيه أمره)[1]. والله اعلم .

المطلب الثالث

المرجئة

لقد أفرد الإمام أبو داود في سننه باباً سماه باب في رد الإرجاء، وفي نسخة الخطابي: باب الرد على المرجئة . وقد ذكر في هذا الباب ثلاثة أحاديث وهي كالآتي :

١ . عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (الإيمان بضع وسبعون، أفضلها، قول: لا إله إلا الله، وأدناها، إماطة العظم عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)[2].

٢ . عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنّ وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله، قال: (أتدرون ما الإيمان بالله؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم)) [3] .

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢/ ٢٨٠) .

(٢) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء: (١٢/ ٣٢٤)، برقم (٤٦٦٢) واللفظ له، وفي صحيح البخاري (١/ ١٢) برقم (٩)، وصحيح مسلم (١/ ٤٦) برقم (١٦٣) بألفاظ مقاربة.

(٣) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء: (١٢/ ٣٢٦)، برقم (٤٦٦٣) واللفظ له، وفي صحيح البخاري (١/ ٥٧) برقم (٥٣) وصحيح مسلم (١/ ٣٥)برقم

٣. حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)[١].

فهذه هي الأحاديث التي ذكرت في هذا الباب وهي تتضمن بمجموعها الرد على اعتقادات المرجئة . فمن هم ؟ وما معتقدهم ؟ وكيف رد صاحب عون المعبود عليهم ؟

أولاً :التعريف بهم :

تقدم أن الخوارج تعد كل كبيرة كفراً، فجاءت المرجئة الغالية، فأعلنت أن الإيمان هو المعرفة فقط . وهؤلاء معروفون بمرجئة الجهمية، وبعضهم قالوا: إن الإيمان هو الإقرار باللسان[٢]. وهم مرجئة الكرامية[٣]، وبعضهم زعموا أن الإيمان هو التصديق فقط [٤]، وذهب جمهورهم إلى أن الإقرار شرط لإجراء الأحكام الدنيوية وهؤلاء معروفون بمرجئة الماتريدية[٥]، وسموا بذلك لأنها تنسب إلى أحد علماء القرن الثالث الهجري

---

(١٢٥) بألفاظ مقاربة ٠

(١) سنن أبي داود بشرح عون المعبود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء: (١٢/ ٣٢٦)، برقم(٤٦٦٤) واللفظ له، وفي صحيح مسلم (١/ ٦١) برقم (٢٥٦)بألفاظ مقاربة ٠

(٢) انظر: مقالات الأشعري: (١٤١)، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م . والفرق بين الفرق للبغدادي :(٢١٢) . وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٦) . والملل والنحل: (١ / ١٠٨) . [وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى جهم بن صفوان] .

(٣) الكرامية: فرقة إسلامية تنسب إلى محمد بن كرام الذي نشأ في سجستان، وتوفي في بيت المقدس سنة ٢٥٦ هـ، والكرامية مجسمون أطلقوا على الله لفظ الجسم، لذلك عدهم الشهرستاني من الصفاتية . انظر: الملل والنحل: (١ / ١٠٨) .

(٤) انظر البداية للصابوني: (١٥٢)، وأصول الدين للبزدوي (١٥٣) .

(٥) الماتريدية: فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

انظر: شرح العقيدة النسفية: (١٢٠)، وشرح المقاصد: (٥ / ١٧٦)، والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب(١/ ٩٥) .

وهو محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي .

وقال بعضهم: إن الإيمان هو التصديق والإقرار[1]، وهؤلاء معروفون بمرجئة الفقهاء وسموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان[2].

يقول الشهرستاني: (الإرجاء على معنيين: أحدهما، بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾[3]. أي أمهله وأخره . والثاني: إعطاء الرجاء).

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، وقيل الإرجاء: تأخير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدرجة الأولى إلى الرابعة[4] .

وأما تعريف صاحب عون المعبود لهذه الفرقة، فإنه يتوافق مع المعنى الثاني الذي بينه الشهرستاني. اذ قال عنهم: (المرجئة: فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخره عنهم)[5] .

وقد دلل صاحب عون المعبود على هذه التسمية مع ذكر ما تفرع إليه الإرجاء، فنقل عن الحافظ ابن حجر قوله في مقدمة فتح الباري: (الإرجاء بمعنى التأخير وهو عندهم

---

(١) مقالات الأشعري: (١٣٣ - ١٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٢٧٣)، لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٤ ١٣٩١ .

(٢) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: (١ / ١٧٩) .

(٣) سورة الشعراء: من الآية ٣٦ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني: (١ / ١٣٩) .

(٥) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٣٢٤) . وهو قول ابن الأثير في النهاية .

على قسمين، فمنهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللتين تقاتلتا بعد عثمان رضي الله عنه، ومنهم من أراد تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر، وترك الفرائض لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد، ولا يضر العمل مع ذلك)[1].

ويمكننا القول أن الأساس الذي قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان، ومما يتألف ؟ وتحديد معناه، وما يتبع ذلك من أبحاث . وهل الإيمان فعل القلب فقط، أو فعل اللسان أو هو فعل القلب واللسان معاً ؟ أي: والعمل غير داخل في حقيقته ومن ثم لا يزيد الإيمان ولا ينقص، إذ التصديق لا يختلف أهله فيه .

وعن ذلك يقول الأشعري: (زعموا أن الصلاة ليست بعبادة لله، وأنه لا عبادة إلا الإيمان به، وهو معرفته والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص وهو خصلة واحدة) [2].

ثانياً : رد الإمام العظيم آبادي على هذه الفرقة :

وقد رد صاحب عون المعبود على ما ذهب إليه المرجئة من معتقدات تؤخذ من الأحاديث التي وردت في سنن أبي داود، وذلك في شرحه لحديث: (الإيمان بضع وسبعون شعبة ...) [3]، فقد نقل قول الخطابي في المعالم حيث قال: (في هذا الحديث

---

(١) هدي الساري وهو مقدمة فتح الباري لابن حجر: (ص ٤٨٣)، وينظر عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٣٢٦) .

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري: (١ / ٢١٤) . وينظر قول صاحب عون المعبود: حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها كما حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين واستفحل أمرها واستطار شرورها في زمن الأئمة كالإمام أحمد . عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٣٢٥) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب شعب الايمان (١/ ٦٣) برقم (٣٥)، وسنن ابي داود، كتاب السنة، باب في رد الارجاء (٤/ ٢١٩) برقم (٤٧٧٦) .

بيان أن الإيمان الشرعي اسم بمعنى ذي شعب وأجزاء لها أعلى وأدنى، وأقوال وأفعال وزيادة ونقصان، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جمع شعبها وتستوفي جملة أجزائها كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل على ذلك قوله: (الحياء شعبة من شعب الإيمان)، فأخبر أن الحياء أحدى الشعب وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاتهم)[1]. ورد عليهم أيضاً في شرحه لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)[2] .

قال صاحب عون المعبود [3]: (اختلف في تكفير تارك الصلاة الفرض عمداً، قال عمر: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقال ابن مسعود: تركها كفر، وقال عبد الله بن شفيق [4]: كان أصحاب محمد عليه السلام لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، وقال بعض العلماء: الحديث محمول على تركها جحوداً، أو على الزجر والوعيد،

---

(١) معالم السنن للخطابي: (٤ / ٣١٢)، وينظر عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٣٢٥) .

(٢) سنن ابي داود، كتاب السنة، باب في رد الارجاء (٤/ ٢١٩) برقم (٤٦٧٨)، وسنن الترمذي، كتاب، باب في ترك الصلاة (٥/ ١٣) برقم (٢٦١٩) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٢ / ٣٢٦) .

(٤) لم أقف على ترجمته .

وقال حماد بن يزيد [١]، ومكحول [٢]، ومالك والشافعي: تارك الصلاة كالمرتد ولا يخرج من الدين) .

وقال الزهري[٣]: لا يقتل بل يحبس حتى يصلي، وقال الخطابي: (التروك على ضروب، منها ترك جحد الصلاة، وهو كفر بإجماع الأمة، ومنها ترك نسيان وصاحبه لا يكفر بإجماع الأمة، ومنها ترك عمد من غير جحد،

فهذا اختلفت الناس فيه)[٤]، وقال ابن القيم: (إن تارك الصلاة كسلا وتهاونا بها عدو لربه كافر مشرك) [٥].

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم الإمام الحافظ المجود شيخ العراق أبو إسماعيل الأزدي مولاهم البصري الأزرق الضرير: ودرهم جده من سبى سجستان . قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة الثوري ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد. وقال ابن مهدي: ما رأيت أعلم منه ومن مالك وسفيان وما رأيت بالبصرة أفقه منه. قال أبو عاصم: مات حماد بن زيد يوم مات ولا أعلم له في الإسلام نظيرا . مولد حماد سنة (٩٨ه). ومات في رمضان سنة(١٧٩ه) رحمه الله تعالى.[وتقريب التهذيب للعسقلاني(١/ ١٩٧) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٦٧)].

(٢) هو عالم أهل الشام يكنى أبا عبد الله، وقيل أبو أيوب وقيل أبو مسلم الدمشقي الفقيه، أرسل عن النبي r أحاديث، وأرسل عن عدة من الصحابة لم يدركهم، وروى أيضاً عن طائفة من قدماء التابعين، عداده من أواسط التابعين. من أقران الزهري، قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن في البصرة، ومكحول في الشام، توفي في (١١٢ هـ)، [طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٣)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ١٦٠)].

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الإمام العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي الزهري، نزيل الشام، قال عمر بن عبد العزيز: (ما ساق الحديث أحد مثل الزهري)، قال يحيى القطان: توفي الزهري (سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة هـ) .[سير أعلام النبلاء: (٥ / ٣٢٦) . والأعلام للزركلي :(١ / ٤٠)].

(٤) معالم السنن للخطابي: (٤ / ٣١٣) .

(٥) ينظر: تهذيب مختصر سنن أبي داود لابن القيم: (٧ / ٤٧) .

المطلب الرابع

الجهمية

أولاً :التعريف بالجهمية :

هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام وهي ذات آراء عقدية في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه [١] .

وترجع نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية، قال ابن تيمية: (وقعت محنة الجهمية في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله تعالى)[٢]، (وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم، ثم أدال الله عليهم فلقوا المصير الذي حل بغيرهم على أيديهم سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[٣]

وقد عرفهم العظيم آبادي في شرحه وقال: (الجهمية: فرقة من المبتدعة ينفون صفات الله التي أثبتها الكتاب والسنة، ويقولون بأن القرآن مخلوق، قال السيد مرتضى الزبيدي [٤]: الجهمية طائفة من الخوارج نسبوا إلى جهم بن صفوان الذي قتل في آخر دولة بني أمية)[٥].

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري: (١ / ٣٣٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٩٩) .
(٢) منهاج السنة لابن تيمية: (١ / ٢٥٦) .
(٣) ينظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١ / ١١٧)، وأصول وتاريخ الفرق: (١ / ١٢٥).
(٤) مرتضى الزبيدي (١١٤٥ هـ - ١٢٠٥ هـ): هو محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني العلوي الزبيدي النسب، المكنى بأبي الفيض، أصله من واسط بالعراق ومولده بالهند ومنشؤه في زبيد باليمن، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر وتوفي بالطاعون هناك، من مؤلفاته (تاج العروس)، (إتحاف السادة المتقين)، وغيرها كثير . [تاريخ عجائب الآثار: (٢ / ١٠٣)، وحلية البشر: (٣ / ٢٩٢)، والأعلام للزركلي: (٧ / ٧٠)] .
(٥) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

من هو الجهم بن صفوان ؟

هذا الرجل هو من أهل خراسان، ظهر في المائة الثانية من الهجرة، ويكنى بأبي محرز، وهو من الجبرية الخالصة، وقد أخذ القول بخلق القرآن وتعطيل صفات الله تعالى عن الجعد بن درهم[1]، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: (سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم، فهو أول من قال بمبدأ التعطيل في هذه الأمة، ثم تلقى عنه الجهم بن صفوان)[2]، وكان مولى لبني راسب إحدى قبائل الأزد، وكان من أخص أصدقاء الحارث بن سريج [3] وتاريخه طويل، وكتب فيه مؤلفات عدة ورسائل جامعية .

ثانياً : نشأة الجهمية :

نشأة الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا يعارضون النصوص برأيهم، ومع هذا كانوا قليلين مقموعين من الأمة وأولهم الجعد بن درهم ضحى به[4] خالد بن عبد الله.

---

(١) الجعد بن درهم: عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ خليلاً ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة . [لسان الميزان: (٢ / ١٠٥)، ميزان الاعتدال: (١ / ٣٩٩)] .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (٥/ ٢٠)، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (ص٣٨٢) .

(٣) الحارث ين سريج التميمي (٠٠٠ - ١٢٨ هـ): كان من سكان خراسان، وخرج على أميرها سنة ١١٦ هـ، فلبس السواد خالعاً طاعة بني مروان داعياً إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضي، وسار إلى الغار باب ومنها إلى بلخ فقاتله أميرها فهزمه الحارث، ودخلها ثم عظم أمره وقيل إن عدة جيشه بلغت ستين ألفاً، ثم انهزم على أبواب مرو، وقتل بعدها هناك ١٢٨ هـ . ينظر: [ابن الأثير: (٥ / ١٤٧)، وتاريخ الطبري: (٩ / ٦٦)، والبداية والنهاية: (١٠ / ٢٦)] .

(٤) ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ خليلاً ولم يكلم الله موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى . الأنساب للسمعاني: (٢ / ١٣٤٤) .

ثم جاء بعده الجهم بن صفوان فقامت أفكاره على الجمع بين البدع الكلامية والآراء المخالفة لحقيقة العقيدة الصحيحة متأثراً بشتى الاتجاهات الفكرية الباطلة .

ثالثاً: أبرز معتقداتها:

إن من أبرز المعتقدات التي جاءت بها هذه الفرقة هي (١):

١. إنكار الجهمية لجميع الأسماء والصفات: اذ تنكر الجهمية جميع الأسماء التي سمى الله تعالى بها نفسه وجميع الصفات التي وصف بها نفسه بحجج واهية وتأويلات باطلة .

٢. القول بالإرجاء والجبر: فهم يقولون انه لا يضر مع الايمان المعصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فإن الإيمان وحقيقته في نظرهم إنما هو مجرد الإقرار بالقلب ولا قيمة للعمل في الإيمان . وزعم الجهم بن صفوان بأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين مستطيعين لما وصفتا به .

٣. وزعموا أن القرآن مخلوق: وأن كلام الله تعالى حادث ولم يسم الله تعالى متكلماً .

٤. وزعموا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان .

ونجد هذا كله مخالفاً لنصوص الكتاب والسنة .

رابعا – هذا وسأورد رد الإمام شمس الحق العظيم آبادي على هذه الفرقة ومعتقداتها إن شاء الله تعالى . ففي معرض رده على انكارهم لأسمائه تعالى وجدته قد اثبت الاسماء لله تعالى عند شرحه لهذه الاسماء واخترت منها ما يأتي: – صاحب عون المعبود فقال: (قال الطيبي: وفي الحديث [٢] دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعي به أجاب، وأن

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ١٩٩)، وأصول الدين الإسلامي عند الإمام أبي حنيفة (ص ١٨٦)، والتبصير في أصول الدين: (ص٦٣)، وعون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

(٢) يقصد بالحديث الذي ورد في سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء: (أن رسول الله ﷺ سمع

ذلك مذكور ههنا، وفيه حجة على من قال: كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الأعظم، إذ لا شرف للحروف)[1]، - ومنها المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام: قال صاحب عون المعبود :(المنان أي: كثير العطاء من المنة بمعنى النعمة، والمنة مذمومة من الخلق لأنه، لا يملك شيئاً قال صاحب الصحاح: مَنّ عليه هنا أي: أنعم والمنان من أسمائه تعالى، وقوله : (بديع السموات والأرض) أي: مبدعها، وفي الصحاح: ابدعت الشيء اخترعته لا على مثال سبق، (وذو الإكرام) أي: صاحب العظمة والمنة)[2].

واجاب عليهم في انكارهم للصفات عند شرحه للحديث الذي جاء في سنن أبي داود: قوله ﷺ :

(هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟)، قالوا: لا ندري، قال: (إن ما بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم استوى فوقها كذلك)، حتى عدَّ سبع سموات، (ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أو قال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرشُ بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك)[3].

قال صاحب عون المعبود: (ثم الله تعالى فوق ذلك، أي فوق العرش، ثم ذكر بأن هذا الحديث يدل على أن الله تعالى فوق العرش، وهذا هو الحق وعليه تدل الآيات القرآنية

رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: (لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)، وفي رواية: (لقد سئل الله عز وجل باسمه الأعظم) ،(٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨) .

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (٤/ ٢٨٨) .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (٤/ ٢٨٨) .

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية: (١٣/ ٧) برقم (٤٧٠٨) .

والأحاديث النبوية، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين، قالوا: إن الله تعالى استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول)[1]. وقد جاء كلامه هذا في معرض رده على الجهمية ذلك لأن الجهمية قد أنكروا العرش، وأن يكون فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان، ولهم مقالات قبيحة باطلة [2] .

قال صاحب عون المعبود: (فيه رد[3] على الجهمية، لأنه يثبت منه صفة السمع والبصر لله تعالى)[4].

وادعوا بان القران الكريم مخلوق، فكان رده عليهم بقوله : (قال الإمام البيهقي: (ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾[5]، فلو كان لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لاشتراط الوجوه المذكورة من الآية معنى لاستواء جميع الخلق في سماعه من غير الله، فبطل قول الجهمية إنه مخلوق في غير الله، ويلزمهم في قولهم إن الله خلق كلاماً في شجرة كلم به موسى، لزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلم موسى

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٧) .

(٢) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٩) .

(٣) المراد به الحديث الذي رواه أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ سورة النساء الآية: ٥٨، قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني أن الله سميع بصير يعني أن لله سمعاً وبصراً. [قال يونس: قال المقرئ: وهذا رد على الجهمية] . قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية . سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الجهمية: (١٣/ ١٩) برقم (٤٧١٣)، وصحيح ابن حبان: (١/ ٤٩٨) برقم (٢٦٥) .

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ١٩) .

(٥) سورة الشورى من الآية: ٥١ .

وقال إنني أنا ربك لا إله إلا أنا فاعبدني، وهذا ظاهر الفساد)[1] . ونقل صاحب عون المعبود: قول الحافظ ابن حجر بعدما أطال الكلام في هذه المسألة: (والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك)[2] .

اما عن قولهم بان الجنة والنار تبيدان وتفنيان، فقد نحا الإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي – رحمه الله – منحى جمهور أهل السنة في هذه المسألة، فقال عند شرحه (لباب في خلق الجنة والنار)، أي:(أنهما مخلوقتان، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنهما لا توجدان إلا يوم القيامة) [3].

ونقل في موضع آخر قول الإمام النووي الذي ذكر فيه: (وقد دلت دلائل القرآن والسنة في الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً)[4].

وبعد ذكر قول صاحب عون المعبود في هذه المسألة أود أن أسطر هذه العجالة وأقول كما قال جمهور أهل السنة والجماعة: في أن الجنة والنار حقان ممكنان لأنه أمر ضروري من جهة العقل واقعتان لما دل به السمع وهو ضروري من الدين، إذ الكتاب والسنة وآثار الأمة مملوءة بذكر ذلك، وأنهما مخلوقتان الآن، واتفق على ذلك أهل السنة والجماعة عملاً بالقرآن والسنة المطهرة في إثبات هذه المسألة وهو الطريق السليم الذي يجب أن يسلكه كل مسلم . والله أعلم .

---

(١) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٣٠ – ٣١)، وقول البيهقي نقله من كتابه الاعتقاد : (ص ٩٤).

(٢) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٣١)، وقول الحافظ ابن حجر من كتابه فتح الباري: (١٣/ ٣١) .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٣٨) .

(٤) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣/ ٣٧)، وكلام النووي نقله من شرحه على مسلم: (١٧/ ١٧٣).

تعقيب :

بعد هذا البيان المجمل لفرقة الجهمية وأبرز معتقداتها، أورد هذا التعقيب عنها . فقد كانت لهذه الفرقة التي قامت على مبدأ التعطيل والجبر صولة في تاريخ الأمة الإسلامية ولقد تمكنوا وعلا شأنهم وقتاً من الزمن، وآراء هذه الفرقة لا تزال في بعض المجتمعات ولا يزال الخصام بينهم وبين أهل الحق قائماً على أشده كما كان سابقاً في الزمن القديم حتى وإن اختلفت في بعض الأحيان المسميات ولاسيما بعد ظهور العصريين الجدد بمفاهيمهم الباطلة الذين لم يقفوا عند حد في إثارة كل ما يمت إلى أهوائهم ولو بأدنى صلة، فمنهم جادون في إحياء تلك المفاهيم الجهمية الباطلة باسم التجدد حيناً، والتطوير أحياناً أخرى، فمن ذلك الاكتفاء بمعرفة وجود الله عن العمل، أو الاعتقاد بعدم وجود الجنة الآن وكذا النار . أو قولهم أن الله لا يوصف أو ليس في جهة[1] وغير ذلك من الآراء التي يعتقدها بعض الناس اليوم هي نفسها آراء الجهمية قديماً . وإذا كان المثال للانفلات من الالتزام بالعقيدة الصحيحة والسير لهدمها تحت شعارات براقة في دعوى التجديد والتطوير، وأحياناً في صورة تمجيد للعقل والعلم أو التراث مما اهتم به كثير من الكتاب والكواتب قديماً وحديثاً، فإنه يتوجب على كل طالب علم أن يحذر هؤلاء، ويحذِّر منهم وألا يركن إلى كتاباتهم، بل ولا ينبغي الاهتمام بقراءة كتبهم قبل أن يطلع على ما عندهم

---

(١) لا يختص الله بجهة لـ :

أ- لأن الجهات حادثة بإحداث الإنسان وغيره .. ثم إن الجهات اعتيادية غير حقيقية ..

ب- إن الله تعالى موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سوى الله حادث .

جـ- إن الاختصاص لجهة هو اختصاص بحيز والحيز مختص بالجوهر والجسم . والله منزه عنهما وهذا خلاف الكرامية الذين أثبتوا لله جهة الفوق من غير استقرار على العرش على أن كثيراً من الحنابلة يثبت جهة العلو لله تعالى واستقراره على العرش مع قولهم بنفي التجسيم . انظر: أصول الدين للدكتور قحطان الدوري والدكتور: رشدي عليان: (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

من الباطل، فإن تلك الكتب مملوءة بالدس والانحراف تحت زخرف من القول.

المطلب الخامس

المعتزلة

قبل أن نبدأ الكلام عن هذه الفرقة، فإن بعضهم قد يقول إن هذه الفرقة زالت وانتهت فما الفائدة من الكلام عنها ؟

أقول نعم زال اسمها، لكن كثيراً من آرائها ما زالت باقية، زيادة على ما نلحظه من دعوة بعض المعاصرين لإحيائها بدعوى أنهم رواد الفكر الحر[1] .

وقال الدكتور مانع الجهني[2]: بعد أن كاد الاعتزال ينتهي كفكر مستقل إلا ما تبنته منه بعض الفرق، عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر على يد بعض الكتاب والمفكرين الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة . فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل العقلانية أو التنوير أو التجديد أو التحرير الفكري أو التطور أو المعاصرة أو التيار الديني المستنير أو اليسار الإسلامي .

وقد قوى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي . وحاولوا تفسير النصوص الشرعية على وفق العقل الإنساني فلجاؤو إلى التأويل كما لجأت المعتزلة من قبل . ثم أخذوا يلتمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم . فوجدوا في المعتزلة بغيتهم . فأنكروا المعجزات المادية . وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة . مثل عقوبة المرتد وفرضية الجهاد والحدود فضلاً عن موضوع الحجاب وتعدد الزوجات .

وإذا انحرف المسلمون في هذا الاتجاه - اتجاه ترويض الإسلام بمستجدات الحياة

---

(١) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها للدكتور عواد بن عبد الله المعنق: (٦).
(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، د. مانع الجهني: (١ / ٧١) .

والتأثير الأجنبي بدلاً من ترويض كل ذلك لمنهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – فستصبح النتيجة أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من الشريعة إلا اسمها، ويحصل للإسلام ما حصل للرسالات السابقة التي حرفت بسبب اتباع الهوى والآراء حتى أصبحت لا تمت إلى أصولها بأي صلة[1] .

ومن هذا المنطلق سأتكلم عن المعتزلة من حيث التعريف والنشأة والمعتقدات .

أولاً :تعريف المعتزلة :

الاعتزال في اللغة: الانفصال والتنحي والمعتزلة هم المنفصلون [2] .

والاعتزال لغةً: من اعتزل الشيء، وتعزّله، بمعنى: تنحى عنه، واعتزلت القوم: أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، قال تعالى حاكياً عما جرى بين موسى وقومه ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [3] . أي فتنحوا عني [4] .

أما المعتزلة في الاصطلاح: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري ما بين سنة (١٠٥ هـ – ١١٠ هـ) في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة . وهم

---

(١) ينظر: أصول وتاريخ الفرق لمصطفى بن محمد بن مصطفى: (١ / ٢٩٥) .

(٢) لسان العرب لابن منظور (مادة عزل): (١١ / ٤٤٠) .

(٣) سورة الدخان: الآية ٢١.

(٤) معاني القرآن للنحاس: (٦ / ٤٠٦) .

أصحاب واصل بن عطاء الغزال [١] الذي اعتزل مجلس الحسن البصري [٢] .

قال عنهم صاحب عون المعبود: (فرقة من المبتدعة زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم أي: أهل السنة والجماعة والخوارج) [٣] .

وقد نشأت هذه الفرقة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في العصر، وأصبحت فرقة كبيرة تفرعت من الجهمية في معظم الآراء ثم انتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشاراً واسعا [٤] .

ثانياً :أصل تسمية المعتزلة :

هناك نظريات عدة حول أصل المعتزلة ومن أشهرها ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل إذ قال: (دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان . بل العمل على مذهبهم ليس من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع

---

(١) هو واصل بن عطاء الغزال المولود سنة (٨٠ هـ - ١٣١ه)، وتتلمذ على الحسن البصري ولم يفارقه إلى أن أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو مؤسس فرقة الاعتزال . لقب بالغزال لأنه كان يدور في سوق الغزل ليتصدق على النساء اللواتي يغزلن، مولى بني مخزوم، وقيل مولى بني ضبة .[وفيات الأعيان: (٦ / ٧)] .

(٢) والحسن البصري (ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر t - ١١٠ه): هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم . جمع كل فن، من علم وزهد وورع وعبادة، أبوه مولى زيد بن ثابت وأمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها . قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف .. [وفيات الأعيان: (٢ / ٦٩)، طبقات ابن سعد: (٧ / ١٦)، وتهذيب التهذيب: (٢ / ٢٦٣)].

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

(٤) فرق معاصرة للعواجي: (٣ / ١٩٩) .

الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة . فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل فسمي هو وأصحابه المعتزلة)[1].

أسماء المعتزلة وعلة تلقيبهم بها:

القسم الأول: ما أطلقه الغير عليهم :

أ- المعتزلة: بمعنى المنشقين، وقد بينا سبب تسميتهم بهذا الاسم عند الكلام على أصل المعتزلة .

ب-الجهمية: وسبب تلقيبهم بهذا اللقب هو أنه لما ظهرت المعتزلة كانت قد وافقت الجهمية في مسائل كثيرة منها نفي الرؤية والصفات وخلق الكلام . فكأن توافق الفرقتين جعلهما كالفرقة الواحدة، وبما أن الجهمية أسبق ومسائلها الشاذة أكثر وبعض مسائل المعتزلة مأخوذة منها لذا أصبح يطلق على كل معتزلي جهمي . ولا يطلق على كل جهمي معتزلي [2].

قال صاحب عون المعبود: (وهم في النفي موافقون للجهمية) [3].

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة): (ولما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس إلى التجهم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: (١ / ٥٢) .

(٢) ينظر: منهاج السنة لابن تيمية: (١ / ٢٥٦)، وفرق معاصرة للعواجي: (٣/ ٢٠٠)، وأصول وتاريخ الفرق لمصطفى بن محمد: (١ / ٢٩٧) .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

وأبطال صفات الله تعالى، وطلبوا أهل السنة للمناظرة لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والفرارية وأنواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً لأن جهماً أشد تعطيلاً لنفيه الأسماء والصفات)[1].

جـ - القدرية: كذلك يلقب المعتزلة بالقدرية . يقول البغدادي وهو يسوق ما أجمعت عليه المعتزلة: (وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل في إكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية) [2].

قال صاحب عون المعبود: (والمعتزلة فرقة من القدرية)[3]. إلا أن المعتزلة لا يرضون بهذا الاسم ولذا يقولون: إنه أولى أن يطلق على القائلين بالقدر خيره وشره من الله تعالى .

د-الثنوية والمجوسية: وهم ينفرون من هذا الاسم، وسبب التسمية هو مذهب المعتزلة نفسه، الذي يقرر أن الخير من الله والشر من العبد، وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر [4] .

هـ-الوعيدية: وذلك بسبب ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد في لا محالة . قال القاضي عبد الجبار في علوم الوعد والوعيد في مفهومهم : (وأما علوم الوعد والوعيد فهو أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية: (١ / ٢٥٦) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي: (ص ٩٤) .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

(٤) ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية للاسفراييني: (١/ ٩٠)، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٣م، والفرق بين الفرق لعبد القهار البغدادي: (١/ ٢٦١).وفرق معاصرة للعواجي: (٣/ ٢٠٠).

ما توعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب) [1] .

و-المعطلة: هو اسم للجهمية أيضاً ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها [2] .

القسم الثاني: ما أطلقوه على أنفسهم :

أ- المعتزلة: سبق أن ذكرنا هذا الاسم من ضمن أسمائهم التي سماهم بها غيرهم، ونورده هنا من ضمن الأسماء التي تسموا بها، وذلك لما رأوا أنه لا خلاص لهم من هذا الاسم اخذوا يبرهنون على فضله وأن المراد به الاعتزال عن الأقوال المحدثة المبتدعة وبرهنوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [3].

ب-أهل العدل والتوحيد: يروي المقبلي [4] أن المعتزلة كانوا يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد والعدلية، ولذا يقول: وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية وأهل العدل، العدل والتوحيد) [5] .

قال صاحب عون المعبود: (وقد سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه، ومن شبه الله

---

(١) شرح الأصول الخمسة: (ص: ١٣٥ - ١٣٦) .

(٢) ينظر: فرق معاصرة للعواجي: (٣ / ٢٠١) .

(٣) سورة المزمل: من الآية ١٠ .

(٤) هو صالح بن مهدي بن علي المقبلي (١٠٤٧ هـ - ١١٠٨ هـ)، مجتهد من أعيان الفقهاء، ولد في قرية مقبل باليمن، وناظر بعض المشايخ بصنعاء، فأدت المناظرة إلى المنافرة فعاف المقام باليمن، فرحل بأهله إلى مكة ١٠٨٠ هـ، فاشتهر وكتب فيها مؤلفاته، وتوفي فيها . من مؤلفاته: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ) و (والإتحاف لطلبة الكشاف) وغيرها . ينظر: البدر الطالع: (١ / ٢٨٨)، والدر الفريد: (ص ٣٧)، ونبلاء اليمن: (١ / ٧٨١) .

(٥) العلم الشامخ: (٣٠٠)، وينظر الاعتصام للشاطبي: (٢ / ٢٥٣) .

بخلقه أشرك)[1].

ثالثا :عقائد المعتزلة :

تكاد فرق المعتزلة وكبراؤهم يجمعون على أن للاعتزال أصولاً خمسة تدور حولها عقائدهم وقضاياهم، وقد تفرعت من خلال كل أصل منها عدة مسائل، فكان لا بد لهم أن يسيروا وراء تلك المسائل ويلتزموا بالنتائج التي تؤدي إليها، وهذه الأصول هي :

الأصل الأول: نفي الصفات (أو التوحيد كما أطلقوا عليها):

فمن خلال استدلالهم العقلي على وجود الله سبحانه التزموا بنفي الصفات وأداهم ذلك إلى إثبات خلق القرآن وإلى عدم رؤية المؤمنين لله سبحانه يوم القيامة وإلى نفي الاستواء لله تعالى على عرشه . فناقضوا بذلك أصول العقيدة الإسلامية التي ثبتت بنصوص الكتاب والسنة ونقلها صحابة رسول الله r، ومن بعدهم التابعون وتابعوهم[2].

الأصل الثاني: العدل :

ومن هذه الأصول نفي القدر (أو العدل كما سموه) والذي نشأ من قياسهم لعدل الله تعالى على عدل البشر، فأداهم ذلك إلى القول بأن أفعال العباد مخلوقة لهم وليست من خلق الله تعالى . بل ولا يقدر على خلقها عند بعضهم، ومن ثم أوجبوا على الله تعالى أن يفعل الصالح للعباد، فالعباد وحدهم قادرون على إدراك الخير من الشر والحسن من القبيح بالعقل دون الشرع، إذ في الأشياء ذاتها قبح وحسن ذاتي، ومن ثم فهم محاسبون

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي: (١٣ / ٥) .

(٢) ينظر: البيهقي وموقفه من الصفات لأحمد بن عطية بن علي الغامدي: (١ / ١٩٢)،، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢ / ١٠٩) . والفرق بين الفرق للبغدادي: (١ / ٩٤) .، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١ / ٢٩٧)، وأصول وتاريخ الفرق: (١ / ٣٤٤) .

ومعاقبون على أفعالهم ورد الشرع بذلك أو لا ؟ [1] .

الأصل الثالث: الوعد والوعيد :قال القاضي عبد الجبار في علوم الوعد والوعيد في مفهومهم: (وأما علوم الوعد والوعيد، فهو أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به، وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب) [2] .

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين :

تدور هذه المسألة حول الحكم على مرتكب الكبيرة حينما طلب من الحسن البصري أن يبين الحكم على صاحب الكبيرة، وما تلا ذلك من جواب واصل بن عطاء، ثم اشتد الخلاف بعد ذلك واعتزل واصل وجماعته حلقة الحسن البصري .

والمقصود أن المعتزلة يريدون بإنزاله بين المنزلتين أن المؤمن صاحب المعاصي عندهم ليس بمؤمن ولا كافر، بل يفرد له حكم ثالث وهو بتسميته فاسقاً في الدنيا والحكم بخلوده في النار في الآخرة، فاختلف اسمه وحكمه في الدنيا، فاستحق أن يكون في منزلة بين المنزلتين [3] .

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هذا هو الأصل الأخير في أصول المعتزلة الخمسة، فقد قرروا وجوب ذلك على المؤمنين نشراً لدعوة الإسلام، وهداية للضالين، وإرشاداً للغاوين . كلٌ بما يستطيع فذو

---

(١) ينظر: أصول وتاريخ الفرق لمصطفى بن محمد: (١ / ٣٤٤)، وشرح الأصول الخمسة: (٣٠١).

(٢) شرح الأصول الخمسة: (١٣٥ – ١٣٦)، وينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري: (٤ / ٤٠ – ٤١)، وكتاب فرق معاصرة لعلي العواجي: (٢ / ١٠٤١) .

(٣) ينظر: أصول وتاريخ الفرق: (١ / ٣٦٠)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب للجهني: (٢ / ٢٦).

البيان ببيانه والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه وهكذا .

ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق [1] .

وقد تقدم رد الإمام شمس الحق العظيم آبادي على بعض معتقدات المعتزلة عندما ذكرت رده على معتقدات الجهمية وذلك من خلال كلامه عن صفات الله تعالى واسمائه، وكذلك في اثباته لكلام الله تعالى [2] .

المطلب السادس

القاديانية

أولاً :التعريف بالقاديانية :

القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠ م، بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد خاصة، حتى لا يواجهون المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الانجليزية [3] .

وقيل: هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة في آخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب للجهني: (٨ / ٢٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١ / ٢٩٧)، وشرح الأصول الخمسة: (ص ١٤٠) .

(٢) ينظر: ص ٣١ من هذا البحث .

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب د. مانع بن حماد الجهني: (١ / ٤١٦)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، وينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني: (ص ٦٠٩)، دار العلم، ط١٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

تمويهاً على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ [١].

وقال الندوي: (القاديانية ثورة على النبوة المحمدية، وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية) [٢] .

ولذلك نجد صاحب عون المعبود يصفها بقوله: (ومن المصائب العظمى والبلايا الكبرى على الإسلام، أنَّ رجلاً من الملحدين الكذابين خرج من الفنجاب من أقليم الهند وهو مع كونه مدعياً الإسلام كذب الشريعة وعصى الله ورسوله ﷺ، وطغى وآثر الحياة الدنيا) [٣] .

ثانياً :التأسيس :

(تنتسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قاديان بالهند، وأحياناً يطلق عليهم اسم الأحمدية لانتسابهم في مذهبهم إلى رجل اسمه: ميرزا غلام أحمد، المولود بمدينة قاديان ١٨٣٩ – ١٩٠٨ م . والذي انكب منذ صغره على دراسة القرآن والحديث والتعبد والتفكر في أمور الدين)[٤].

وكان غلام أحمد القادياني أداة التنفيذ الأساسية بيد الاستعمار لإيجاد القاديانية، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن [٥].

ويروى أن غلام أحمد، وإن كان هندياً إلا أنه إيراني الأصل هاجر آباؤه إلى الهند منذ مئات السنوات . فالذي يبدو أن هناك خلطاً واضطراباً في نسبة أسرته وبعد هذا الخلط

---

(١) ينظر: فرق معاصرة للعواجي: (٢ / ١٧٧) .

(٢) القادياني والقاديانية للندوي: (ص ١٢٠) .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٠) .

(٤) أصول وتاريخ الفرق، د. مصطفى بن محمد بن مصطفى: (٢ / ٩٤) .

(٥) ينظر: الموسوعة الميسرة، د. مانع بن حماد الجهني: (١ / ٤١٦)، وينظر: العقيدة الإسلامية لعبد الرحمن الميداني: (ص ٦١٠) .

زعم أن الله أوحى إليه أن نسبه يرجع إلى فارس، فقال: (والظاهر أن أسرتي من المغول ولكن الآن ظهر علي من كلام الله تعالى أن أسرتي حقيقة، أسرة فارسية، وأنا أومن بهذا، لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله تعالى)[1].

وهكذا نشأ غلام أحمد وفياً للاستعمار مطيعاً له في كل حاله، ولهذا وقع اختيار الاستعمار البريطاني عليه لتنفيذ خطة إنشاء فرق باطلة في صفوف المسلمين، تدعمها الحكومات البريطانية . فأخذ دور المتنبي حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الانجليزي. وكان غلام أحمد معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

قال صاحب عون المعبود: (ثم كثرت فتنته، وعظمت بليته سنة ست وألف وثلاثمائة إلى السنة الحاضرة، وهي سنة عشرين بعد الألف وثلاثمائة، وألف الرسائل العديدة، ومنها: توضيح المراد، ومنها: إزالة الأوهام، ومنها: فتح الإسلام، وغير ذلك من التحريرات في إثبات ما ادعاه من الإلهامات الكاذبة والدعاوى العقلية الواهية)[2]. وضمنها أيضاً الحث الصريح على طاعة الدولة البريطانية وعدم الخروج عليها [3]

وقد تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري [4] . أمير جماعة

(١) ينظر: رسائل في الأديان، لمحمد بن إبراهيم الحمد: (١ / ٢٠٤)، وفرق معاصرة للعواجي: (٢/ ١٧٩).

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٠) .

(٣) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني: (ص ٦١٠) .

(٤) ثناء الله الأمر تسري (١٢٨٠ه - ١٣٦٧ه): مفسر، مناظر، من العلماء، من أهل (أمر تسر) في الهند، كان تاجر كتب وأسس مطبعة، وأنشأ جريدة (أهل الحديث)، واشتهر بمناظرة الطوائف والفرق، صنف عدة كتب بالهندية، وكتابين بالعربية هما: تفسير القرآن بكتاب الرحمن، مطبوع، وكتاب في البلاغة وإعجاز القرآن، طبعت قطعة صغيرة منه ولم يتمه، ونكب في فتنة ثارت على أثر تقسيم الهند وإنشاء باكستان سنة ١٣٦٦ هـ، فهجم بعض السيخ على داره وقتلوا ولده الوحيد وأحرقوا له مكتبة

أهل الحديث في عموم الهند، إذ ناظره، ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده بأهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني عام ١٩٠٨ م، مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً [١].

وقد بين ذلك أيضاً صاحب عون المعبود فقال: (وقد رد عليه جماعة من العلماء منهم: شيخنا الإمام الرحلة الآفاق السيد محمد نذير حسين الدهلوي أدام الله بركاته، ومنهم شيخنا المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري، ألف رسالة سماها – الفتح الرباني في الرد على القادياني – وغيرهما من العلماء الكرام، واتفقت كلمتهم بأن الرجل المذكور قد أظهر في رسائله عقائد كفرية ومقالات بدعية خرج بها عن إتباع السنن والإسلام، وتبع فيها الفلاسفة والأردية، والنصارى والملاحدة الباطنية اللئام، وأنه قد عارض الحق الصريح، وأنكر كثيراً من ضروريات الدين وإجماع السلف الصالحين، فلا ينبغي للمسلمين أن يجالسوه ويخالطوه، والله تعالى أعلم)[٢].

ثالثاً: رد الإمام العظيم آبادي على ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية :

لقد بين الإمام العظيم آبادي زيف هذه الفرقة الضالة بعد شرحه للأحاديث المتعلقة بنزول عيسى عليه السلام، وكذلك عند رده على الرسالة التي وجهها زعيم هذه الفرقة الضالة، فقد كتب زعيم هذه الطائفة في سنة ١٨٩٦ م رسالة وجهها إلى علماء الهند وغيرها من البلاد الإسلامية، أخذت منها بعض المقتطفات والتي تخص ما رد به العظيم آبادي عليه في عون المعبود وهي كالآتي :

عظيمة، فهاجر إلى باكستان، فتوفي فيها . [الأعلام للزركلي: (٢ / ١٠١)، ومعجم المؤلفين: (٣٧٧)، والمعجم الجامع: (١ / ١٤١)].

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة: (١ / ٤١٦) .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٢) .

يقول: إنَّ الله قد بعثني مجدداً على رأس هذه المائة واختصني عبداً لمصالح العامة، وأعطاني علوماً ومعارف تجب لإصلاح هذه الأمة، ووهب لي من لدنه علماً حياً لإتمام الحجة على الكفرة الفجرة، وجعلني من المكلمين والملهمين، وأكمل عليَّ نعمه. وأتم تفضله وسماني المسيح ابن مريم بالمفضل والرحمة، وقدر بيني وبينه تشابه الفطرة كالجوهرين من المادة الواحدة [1]. ويقول في مكان آخر من الرسالة ومن آلائه أنه أحاطني وقال: أن عيسى نبي الله قد مات، ورفع من هذه الدنيا، ولقي الأموات، وما كان من الراجعين، بل قضى عليه الموت وأمسكه، ووافاه الأجل وأدركه، فما كان له أن ينزل إلا بروزاً كالسابقين، وقال سبحانه إنك أنت هو في حلل البروز وهذا هو الوعد الحق الذي كان كالسر المرموز . فاصدع بما تؤمر، ولا تخف ألسنة الجاهلين وكذلك جرت سنة الله في المنقذين [2].

ومن خلال ما تقدم من كلام عن غلام أحمد، ومن خلال رسالته هذه فهو يقرر الآتي:

١. أن سيدنا عيسى عليه السلام قد مات ورفع من هذه الدنيا، وما كان من الراجعين ونزوله بجسده العنصري من الخرافات والمستحيلات .

٢. يقرر بأنه مجدد هذه الأمة، وهذا ما دفعه إلى نقض الكثير من أحكام الشريعة الإسلامية، والتي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كالجهاد مثلاً .

٣. وأنه مثل سيدنا عيسى عليه السلام وشبيهه، وهو المقصود بما جاء في القرآن الكريم، وما نطقت به السنة .

وعلى هذه الأسس جاء رد العظيم آبادي في شرحه عون المعبود حيث يقول: (فلا يخفى على منصف أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض حكماً مقسطاً بذاته

---

(١) ينظر: أصول وتاريخ الفرق: (٢ / ٩٥)، وفرق معاصرة للعواجي: (٢ / ٩٦) .
(٢) أصول وتاريخ الفرق: (٢ / ٩٥)، وينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني: (ص ٦١١) .

الشريفة ثابت بالأحاديث الصحيحة، والسنة المطهرة، واتفاق أهل السنة، وأنه الآن في السماء لم يمت بيقين [1]) [2].

(وأما ثبوته من الكتاب فقال الله عز وجل راداً على اليهود المغضوب عليهم الزاعمين أنهم قتلوا عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ [3]، ففي هذه الآية الكريمة اخبرنا الله تعالى أن الذي أراد اليهود قتله وأخذه وهو عيسى بجسمه العنصري لا غير رفعه الله إليه، ولم يظفروا منه بشيء كما وعده الله تعالى، ومن الآيات الأخرى التي يستدل بها على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ

---

(١) جاء في تفسير الطبري: (اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ (أ) قال بعضهم: هي وفاة النوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم. أني منيمك ورافعك في نومك)، (ب) وقال آخرون: معنى ذلك: أني قابضك من الأرض فرافعك إليَّ، قالوا: ومعنى الوفاة: القبض لما يقال، توفيت من فلان مالي عليه . بمعنى: قبضه واستوفيته، قالوا: فمعنى ذلك أني قابضك من الأرض حياً إلى حواري وآخذك إلى ما عندي بغير الموت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك . (جـ) وقال آخرون: معنى ذلك: أني متوفيك وفاة موت اذ قالوا: (توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه) . (د) وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله سبحانه يا عيسى أني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا، وقالوا هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم .

- قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، ورافعك إليَّ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها، واختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه) (سنن أبي داود، باب ذكر خروج الدجال: (٢ / ٥٢٠) برقم (٤٣٢٤) . تفسير الطبري: (٥ / ٤٥١)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ)، تحقيق مكتب التحقيق بدار الهجرة، دار الهجرة، ط١ .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٩) .

(٣) سورة النساء: من الآيتان: ١٥٧ - ١٥٨ .

مَوْتِهِۦ ﴾[1]: أي قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام كما قال أبو هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة والسلف الصالحين، وهو الظاهر كما في تفسير ابن كثير[2] فثبت أن عيسى عليه السلام لم يمت بل يموت في آخر الزمان ويؤمن به كل أهل الكتاب)[3].

وقال صاحب عون المعبود: (وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن نزوله إلى الأرض من علامات الساعة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[4]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره: الصحيح أن الضمير عائد إلى عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، وأن المراد نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[5] أي قبل موت عيسى عليه السلام ويؤيد هذا المعنى القراءة: (وإنَّه لَعَلَمٌ للساعةِ)، يعني بفتح العين واللام، أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، ولا ينبغي أن يكون للآية أي معنى غير هذا، وهذا المعنى الذي اتفقت عليه كلمة المفسرين عامة)[6].

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٥٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢ / ٤٣٣)، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح، الهندي (٢٧٩ – ٢٨٠)، وشرح عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٩ – ٣٨٠) .

(٣) شرح عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٠) .

(٤) سورة الزخرف: من الآية ٦١ .

(٥) سبق تخريجها في هامش (٢) من نفس الصفحة .

(٦) وهذه القراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد، انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري: (٢٥/ ٩ – ٩١)، تفسير الرازي: (٨/ ٦٤)،المطبعة الخيرية، ط١ – مصر، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:(١٦/ ١٠٥)، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م. تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٦ / ٢٣٥) أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ،عون المعبود بشرح سنن أبي داود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٠)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم:(٣/ ١٥٢).

أما إثبات نزوله في السنة المطهرة :

فقد وردت في الصحيحين والسنن والمسانيد أحاديث كثيرة[1] تدل دلالة واضحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام زيادة على ما ذكرناه في سنن أبي داود من أحاديث، فذكر منها ما صح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً، مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)[2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله على هذه الأمة)[3].

وقال صاحب عون المعبود: (جاء في فتح الباري: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه)[4]. وقال الحافظ أيضاً: (والصحيح أن عيسى رفع وهو حي)[5]، وقال الشوكاني[6] في رسالته المسماة (بالتوضيح في تواتر ما جاء

---

(١) أورد مؤلف كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح أكثر من سبعين حديثاً وردت لإثبات نزول عيسى عليه السلام، وعد أكثر من خمسة وعشرين صحابياً رواه عنهم أكثر من ثلاثين تابعياً فانظر هناك .

(٢) صحيح مسلم، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً: (١ / ٩٥) برقم (٤١٢) .

(٣) صحيح البخاري، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً: (١ / ٩٥) برقم (٤١٢) .

(٤) فتح الباري للعسقلاني: (٦ / ٤٩٤)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ، وينظر: عون المعبود بشرح سنن أبي داود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢ / ٤٣٥)، وينظر عون المعبود: (١١ / ٣٧٥) .

(٦) الإمام الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٠ ه): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، نسبته إلى شوكان قرية من قرى السجامية على مسافة يوم واحد من صنعاء، حفظ القرآن وجوده على

من الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح): وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام من الأحاديث تسعة وعشرون حديثاً، ثم سردها وقال بعد ذلك: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر، كما لا يخفى على من له فضل إطلاع فتقرر بجميع ما سقناه ان الأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى متواترة [1].

وقال صاحب الشرح (عون المعبود) أيضاً مع ما تقدم من نقول: (تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة) [2] .

هذا هو الرد الذي جاء في عون المعبود فيما يخص ما ادعاه الضال غلام أحمد من أن عيسى عليه السلام قد مات، وأن نزوله من الخرافات .

أما ما يخص الادعاء الثاني وهو كونه مجدداً ومن ثم أدى به ذلك تغيير شرع الله تعالى . وهذا مردود عليه، ذلك لأن عيسى عليه السلام عندما ينزل لا يأتي بشرائع جديدة، وإنما هو مقرر لهذه الشرائع .

قال صاحب عون المعبود: (قال القرطبي في التذكرة: وهذا مردود بقوله تعالى:

جماعة من العلماء بصنعاء، اشتغل بالتدريس والتأليف حتى لقي ربه، فانتفع به خلق كثير، من مؤلفاته (نيل الأوطار)، و (إرشاد الفحول)، وغيرها من المؤلفات .[الأعلام للزركلي: (١ / ٤٣)، المعجم الجامع: (١ / ٨)، إتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء: (١ / ٤)] .

(١) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٥) ولم اعثر على كتاب الامام الشوكاني فيما توفر لدي من مصادر .

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٤) .

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، وبقوله ﷺ: (لا نبي بعدي)[2]، وغير ذلك من الأخبار، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى عليه السلام ينزل نبياً بشريعة متجددة غير شريعة نبينا محمد ﷺ، بل لما ينزل فإنه يكون يومئذ من اتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ حيث قال لعمر: (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)[3]، فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة مجدداً لها، إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ﷺ آخر الرسل)[4]. ويبين الإمام النووي بأن شريعة نبينا محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع بقوله في شرح الحديث: (ويضع الجزية)، (والصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى . فعلى هذا قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا كراهة على الإسلام، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا ﷺ)[5]

هذا ومما تجدر الإشارة والتنبيه عليه أن نزول عيسى عليه السلام سيكون حقيقة،

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية ٤٠ .

(٢) أخرجه الشيخان، البخاري: (٤ / ٢٠٦)، برقم (٣٤٥٥)، ومسلم: (٦ / ١٧) برقم (١٨٤٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: (١١ / ٣٤٧) .

(٤) التذكرة للقرطبي: (٢ / ٣٦٥)، تحقيق السيد الجميلي، دار ابن زيدون – بيروت، وينظر: عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٧٢) .

(٥) شرح النووي على مسلم: (٢ / ١٩٠) .

وليس المراد بنزوله وحكمه في الأرض كناية على غلبة روحه، وسير رسالته على الناس بما غلب عليها من الأمر بالحرمة والمحبة والسلم، والأخذ من مقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها[1] فإن هذا مخالف للأحاديث الصحيحة المثبتة أنه ينزل بروحه وجسده كما ظهر لنا،وهو ثابت عند الجمهور وكتاب الله يقرر ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2]. لأن المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم أنه رفعه إليه وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة[3]. وهكذا يتبين لنا من خلال هذه النقول والنصوص التي أوردها لنا العظيم آبادي في عون المعبود. إن عيسى عليه السلام سينزل حكماً مقسطاً ليقيم أحكام الشريعة الإسلامية التي أنزلها الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ. وأما ما يتعلق من كونه شبيه عيسى عليه السلام ومثيله فرد عليه صاحب الشرح أيضاً بقوله: (فالواجب على كل مسلم أن يبين للناس ضلال هذا الرجل المفتري المدعي أن المسيح عليه السلام قد مات وأنه مثيل عيسى، بل عيسى عليه السلام حي في السماء وينزل في آخر الزمان بذاته الشريفة، وقد تقدم أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة

(١) أنكر بعض الكتاب من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده، نزول المسيح عيسى عليه السلام، ويعد الشيخ محمود شلتوت ابرز الذين كتبوا في هذا المجال، فكتب في ذلك مقالاً في مجلة (الرسالة) السنة العاشرة العدد (٤٦٢)، وكان الذي انتهى إليه في مقالاته تلك، هي تأويل الآيات الواردة والإعراض عن الأحاديث الكثيرة الثابتة زاعماً أنها أحاديث لا يصلح أن يقام عليها الاعتقاد انظر: نظرة عابرة: (٣٤ – ٣٥) .

(٢) سورة النساء: من الآية: ١٧٥ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١ / ٣٦٦)، التصريح بما تواتر في نزول المسيح: (٢٧٩ – ٢٨٦)، كبرى اليقينات الكونية: (٢٦٣ – ٢٦٤)، محمد سعيد رمضان البوطي، ط٦، ١٣٩٩ هـ .

البيضاء شرقي دمشق، وليست مدينة دمشق ولا المنارة البيضاء بلدة القادياني ولا منارته، وقد تقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال في وصف عيسى عليه السلام (بأنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، وأنه ينزل بين محصرتين كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، وأنه بنزوله تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد، وأنه يدعو إلى المال فلا يقبله أحد، وأنه يحثو المال حثواً، وأنه يقاتل على الإسلام) [1]، وقال أيضاً: (ولا وجود لهذه الأوصاف الشريفة المذكورة في هذا الرجل المدعي أنه مثيل عيسى وأن عيسى عليه السلام لا أب له كما دلت عليه الأخبار الصحيحة، وهذا الرجل له أب وجد، وليس فيه من الصفات ما يصح دعواه بل إن دعاويه كلها أكاذيب واهية تدل على ضلالة وسخف عقله وفساد رأيه، قال تعالى: (ومن يضلل الله فما له من هاد) [2]) [3] .

وفي ختام هذا المبحث أقول: بأن العظيم آبادي صاحب الشرح قد دفعته غيرته على دينه على نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى فكره وعقيدته الصحيحة، كل ذلك للوقوف بوجه هذه الحركات الهدامة . وكما يتبين لنا فإنه رد غالبها بكلمات كريمة وعظيمة، كلها مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية وما نقله عن أئمة العلم والعلماء من نقول بحيث أظهر حال هؤلاء بما لا يقبل مجالاً للشك بأنهم فرقة ضالة مضلة، وأن صاحبها رجل من الملحدين الدجالين الكذابين وهو مع كونه مدعياً للإسلام فقد كذب الشريعة وعصى الله ورسوله ﷺ، وطغى وآثر الحياة الدنيا . والله أعلم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: (١١ / ٤٣٧) برقم (٩٦٣٠)، وسنن أبي داود بشرح عون المعبود: (١١ / ٣٧١) برقم (٤٣١٤) .

(٢) سورة الزمر: من الآية ٢٣ .

(٣) عون المعبود للعظيم آبادي: (١١ / ٣٨٢) .

الخاتمة

– عاش الإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي – رحمه الله –ستة وخمسين عاماً، فقد ولد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة، وتوفي في التاسع عشر من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

وهو احد العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، ويعد من كبار محدثي الهند الذين قادوا حركة السنة والسلفية، واحد نوابغ العصر ممن يشار إليه بالبنان، وكانت جهود الإمام العظيم آبادي –رحمه الله– مرتكزة في خدمة السنة النبوية فمعظم مؤلفاته في السنة، والتي كان منها (عون المعبود) والذي يعد من أعظمها وأكثرها نفعا، وأهم ما يتميز به هذا الشرح هو النقل والجمع، فقد عرف عن هذا الكتاب انه حشد فيه كثيرا من الآراء المتشعبة والنقولات المختلفة ليس في العقيدة فحسب بل في سائر الفنون، حتى وصف بأنه أفضل الشروح لسنن أبي داود.

ب– انه –رحمه الله – جامع لأقوال المتكلمين مع اختلاف مدارسهم، علمي في بحوثه ومناقشاته، وقد اعتمد في اغلب المسائل على أقوال من سبقه من شراح الحديث كالقاضي عياض والخطابي وابن حجر والنووي وابن بطال وغيرهم.

ت– وكان الإمام – رحمه الله – يتقن أكثر من لغة، فظهرت له مؤلفات باللغة العربية واللغة الفارسية واللغة الاوردية .

ث– موقف الإمام محمد شمس الحق من الفرق المذمومة تمثل في تأوله –رحمه الله– لقولهr: – (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)٠ بأنه لم يرد المختلفين في فروع الفقه وإنما قصد من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وبين أن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة

فهم أهل القرآن والحديث والفقه والعلم الذين اجتمعوا على اتباع آثاره r في جميع الأحوال كلها .

فمع انتصاره – رحمه الله– لمذهب أهل السنة والجماعة وموقفه المعتدل تجاه المدارس الكلامية، نجده يرد بشدة على بعض المذاهب التي يرى فيها خطرا مثل الجبرية والقدرية والمعتزلة والقاديانية وغيرها .

وقد تشدد رحمه الله في الالتزام برأي السلف في موقفهم من آيات الصفات، فرايته يثبت هذه الصفات لله تعالى وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه، إلا في صفة الوجه فقد أولها (بالذات).

– وقد ناقش الإمام محمد شمس الحق – رحمه الله – مسألة القدر مناقشة علمية رد فيها أقوال المعتزلة والقدرية والجبرية، ونصر رأي أهل السنة بأن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع إلا بحسب ما قدره الله تعالى، كما وبين رأي السلف في هذه المسألة فهم بين القصر والطمح أي بين الإفراط والتفريط، وهذا يعني أن السلف لعلى طريق مستقيم وهو الاقتصاد والتوسط، ليسوا بمفرطين كالقوم القاصرين دونهم، ولا بمفرطين كالأقوام الطامحين عنهم .

وفي الختام فهذا جهد المقل، فمقدرة الإنسان محدودة قاصرة فلا بد من خلل وهفوة فإن التقصير وكثرة العيوب من صفات المخلوقين، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة رسوله r والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام :المؤرخ الهندي العلامة عبد الحق بن فخر الدين الحسني(ت ١٣٤١ هـ)، طبعة دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٢. أصول الدين عند الإمام أبو حنيفة: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٣. الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي: المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

٤. الأعلام للزركلي: خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين ،بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.

٥. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق، علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٦. تاج العروس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، دار الهداية .

٧. تاريخ مدينة دمشق: أبي القاسم علي بن الحسين، ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، ١٩٩٥ م .

٨. التبصرة في أصول الدين للاسفراييني: طاهر بن محمد الاسفراييني، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٩٨٣ م

٩. التذكرة للقرطبي: تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون - بيروت.

١٠. تفسير الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ)، تحقيق:

مركز هجر للبحوث، الناشر، دار الهجر – مصر، سنة النشر ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

١١. تفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، الناشر، دار هجر – مصر .

١٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر الطبعة الجديدة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

١٣. تلبيس إبليس لابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

١٤. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزني (٦٥٤ – ٧٤٢هـ) تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

١٥. الجامع لأحكام القران: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١)، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٦. الجواهر المضية: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي .

١٧. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد، مطبعة اسعد بغداد.

١٨. سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة .

١٩. شذرات الذهب : لابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكبري الدمشقي (١٠٣٢ هـ – ١٠٨٩ هـ)، دار الكتب العلمية .

٢٠. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٢١. شرح العقيدة النسفية: سعد الدين التفتا زاني، دار إحياء الكتب العربية، مصر .

٢٢. شرح المقاصد: سعد الدين بن عمر التفتا زاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة عالم الكتب - بيروت .

٢٣. شرح النووي على مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢ ١٣٩٢ م ،

٢٤. شرح صحيح البخاري لابن بطال: أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشيد، السعودية - الرياض، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٥. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله النجاري الجعفي، دار أبن كثير اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق د. مصطفى ديب البغا .

٢٦. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

٢٨. طبقات ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري تحقيق إحسان عباس، صادر - بيروت، ط١، ١٩٦٨م .

٢٩. طبقات الشافعية: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،١٤١٣هـ، ط٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي .

٣٠. العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار العلم، ط١٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

٣١. عمدة القارئ : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٢. غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٣٩٦، تحقيق، د. محمد عبد المجيد خان .

٣٣. فتح الباري لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤. الفرق بين الفرق للبغدادي: عبد القاهر طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧ .

٣٥. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، ط٤، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٣٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو أحمد، مكتب الخانجي - القاهرة .

٣٧. الكامل لابن الاثير: للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٣٨. لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،الناشر: دار صادر - بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٣٩. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط٣، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية - الهند .

٤٠. مجموع الفتاوى لابن تيمية: تقي الدين أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق أنور البار- عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٦٢ هـ - ٢٠٠٥م .

٤١. معالم السنن للخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي(٢٢٨ هـ)، المطبعة العلمية، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م،

٤٢. معاني القرآن للنحاس: للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩ هـ .

٤٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٤٤. المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٠٥ .

٤٥. مقالات الإسلاميين: علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٤٦. الملل والنحل للشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤، تحقيق: محمد سيد كيلاني .

٤٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية .

٤٨. ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار

المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٤٩. النجوم الزاهرة: يوسف بن تغري بردي، دار الكتب القاهرة .

٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية –بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م، تحقيق، طاهر أحمد الزاوي .

٥١. والمعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية .

٥٢. وتهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

وفيات الاعيان: أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق، إحسان عباس، دار صادر – بيروت .